كرسي هزاز

اسم العمل : كرسي هزاز
النوع : قصص
تأليف : مصطفى مختار
تصميم الغلاف : أحمد الملواني
رسومات الكتاب : ولاء القاضي
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٣٨٦٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N.: ٩٧٨-٩٧٧-٧٠٢-٢٢٥-٥

كرسي هزاز

قصص

مصطفى مختار

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٩

إهـــداء

أهدى هذا الكرسى الهزاز إلى ...

روح أمى وأبى وحماتى .. رحمة الله عليهم جميعا

زوجتى وشريكة رحلة العمر .. وفلذات كبدي ..

أبنائي الأعزاء الأحباء

إلى كل من علمنى حرفا .. وكل من شد أزرى وترا ..

وكل من ألهمنى يوما فكرا

وأخيرا أهدى هذا الكرسي لكل قانع بمقدرات الحياه ..

مستسلما لقدر الله .. راضيا بمشيئته جل علاه ..

حجاب أم هاشم

بعد الإنتهاء من إختبارات السنه الثالثه بكلية التجاره .. بدأت ومجموعه من الزملاء الإعداد لرحلة العمل الصيفيه فى أوروبا كما إعتدنا .. وبدأنا تجديدات جوازات السفر والحصول على تأشيرة المملكه المتحده بعد حجز تذاكر الطيران إلى عاصمة الضباب اللندنيه .. فهذه فرصتنا الأخيره فى السفر قبل التخرج والتعرض لقيود التجنيد وأداء الواجب الوطنى والخدمه العسكريه ..

تصادف وجود أحد أقارب الزملاء الذى هبط علينا فجأة من بلدته بالصعيد الجوانى .. فى أول زياره له لبندر القاهره .. ورغم إنه نقى السريره .. ميسور الحال .. حسن المظهر والهندام .. إلا إنه حين يتكلم تشعر وكأنه إحدى الكائنات التى هبطت توها من كوكب نائى .. فهو يرى فى كل البنات القاهريات معشوقات له .. وإنه الزعيم فى فيلم عنتر شايل سيفه .. وكما علمنا من قريبه إنه طالب مدلل

فاشل .. فهو مازال فى المرحله التعليميه رغم إن عمره قد إخترق حاجز الربع قرن .. وهو إبن وحيد مع سبع أخوات تعملن جميعهن على خدمته وراحة سيادته .. وقد إسترعى إنتباهى حجاب مميز الشكل يتدلى على صدره ويطوق عنقه بما لا يتوافق مع تميز هيئته الصعيديه الصماء ..

وفى نزهه ليليه إلى وسط البلد وفى ميدان سليمان باشا وقفنا مترقبين وصول الأستاذ هاشم الصعيدى حيث تم دعوته على السينما .. وعندما تأخر بعض الشئ .. تم الإتصال به على المحمول للتعرف على مكانه وقد أفادنا إنه فى شارع عمومى وعلى يمناه مدرسة النزهه .. وبعد المداوله لم يتعرف أى منا على مكان هذه المدرسه .. وبعد الحوار مع سائق التاكسى الذى كان يقله إكتشفنا أن مدرسة النزهه ماهى إلا لافته على أتوبيس يخص المدرسه تصادف وجوده بالطريق .. وبعد وصول الصعيدى النابغه توجهنا إلى مقهى الأمريكين لتناول الأيس كريم المعروف بإسم تروا بيتيت كوشو إحتفالا بهاشم الصعيدى .. بعد ذلك توجهنا إلى السينما .. إلا إنه إستأذنا فى الإنتظار حتى يذهب لتناول المزيد من البيتيت كوشو الذى إستصاغ مذاقه .. وحين طال بنا الإنتظار توجهنا إلى الأمريكين للسؤال والبحث عن سيادته .. وعلمنا من العاملين بالكافتيريا إنه تم إستياقه إلى قسم

الشرطه على أثر مشاده بينه وبين إحدى الفتيات .. ونظرا إنه لا يحمل بطاقه شخصيه أو أى بطاقة تعارف أخرى تم التحفظ عليه وإستياقه إلى قسم الشرطه ..

توجهنا على الفور إلى قسم الشرطه سعيا للإفراج عن هاشم وإسترداد عهده الصعيد المكفلين بها .. والغريب فى الأمر إنه كان على وشك إيداعه حجرة الحجز .. لولا القبض على أحد النشالين المتسولين .. ويصادف وجود حافظة الصعيدى عند تفتيش وتفريغ جيوب النشال .. وكان من اليسير التعرف عليها لتميزها أيضا .. ووجود صورة أم هاشم داخلها .. بالإضافه إلى بطاقته وجميع أوراقه الشخصيه والماليه .. وتم الإفراج عنه بعد هذه المصادفه العجيبه ..

بعد هذا المشهد المسرحى .. توجهنا إلى السينما للحاق بما تبقى من أحداث الفيلم .. وقد فوجئنا بالسينما خاويه .. وقد تم إلغاء العرض نظرا لنشوب ماس كهربائى مفاجئ صاحبه سحابه من الدخان الكثيف أدت إلى حالات إختناق متعدده ..

بعد أمسيه لا بأس بها .. توجهنا إلى جحا .. مطعم الكشرى الشهير .. وكان الصعيدى مصدر فكاهه الجلوس حين طلبنا

أطباق الكشرى مع مزيد من الحمص والورد .. وتعالت الضحكات حين توجه هاشم إلى الندال مفيدا إنه لم يتلقى الورد .. ومستفسرا إذا كان من المتاح إستبداله بفل أو ياسمين ..

وحين تداولنا موضوع السفر .. جاءت الطامه الكبرى .. حيث أصر الأستاذ هاشم الصعيدى الإنضمام إلى رحلتنا إلى بلاد الفرنجه .. وفشلت جميع محاولات إثناءه عن السفر .. وقد إستطاع والده الذى يعد أحد أعيان الصعيد تكليف أحدهم تجهيز جميع الأوراق اللازمه وحجز التذكره والحصول على التأشيره المطلوبه .. ولم يكن هناك بد إلا إصطحاب الأستاذ هاشم الصعيدى الفتك فى رحلتنا المنشوده .. وهو لا يعلم من اللغه الإنجليزيه سوى .. yes .. و .. no..و.. good morning .. و .. ... good bye

أصبحنا محاصرين بالأمر الواقع .. مجبرين على إصطحاب طفل يفوقنا عمرا .. يرتدى حجاب أعدته له أم هاشم .. وعلينا تناوب تجهيز الرضاعات لسيادته .. والقيام بالترجمات العربيه التى يجهل معظم مصطلاحاتها .. فما بالك باللغه الإنجليزيه ..

دار بيننا تساؤل .. ماالذى يدفع أمثال هاشم للإقبال على تلك السفريات .. فجميعنا يبتغى العمل .. وتحسين اللغه .. وينشد الرزق .. ويتطلع إلى إبتياع مايتاح من الملابس الأنيقه ومستلزمات الحياه .. وبعض الهدايا العائليه .. أما هو .. فهو ميسور الحال والرزق .. وليس لديه لغه من الأصل يقوم بممارستها ليعمل على تحسينها ..

قررنا جميعا الخلاص من هذه الورطه .. وقد شاركنا القرار الزميل الذى أتحفنا بهذا القريب الهاشمى ..

وبدأت المحاولات أثناء رحلة الطيران .. فقد نصحناه بإستدعاء المضيفه وسؤالها .. how to open the window؟ ..بعدها توجهت إليه المضيفه ببعض العبارات الإنجليزيه الغير مفهومه ثم إستدعت رئيسة الطاقم ومسئول أمن الطائره .. وبعد حوار ومشاورات إصطحبوه إلى مقدمة الطائرة .. لعلهم يضمونه إلى القائمه السوداء للمسافرين أو يتم ترحيله على رحلة العوده .. وقد خاب ظننا حين علمنا من رئيسة الطاقم لاحقا .. إنه تم نقله إلى مقعد فسيح بالدرجه الأولى فربما يعانى فوبيا الأماكن المغلقه .. وهذه ظاهره شائعه فى عالم الطيران ..

لقد تنعم هذا القفل بالجلوس فى الدرجه الأولى .. بينما ظللنا نحن بالمقاعد الخلفيه فى السبنسه ..

بعد الهبوط روى لنا الصعيدى نوادره فى الدرجه الأولى .. وكيف إحتسى شوربة الماء الدافئ بالليمون قبل أن يتبين إنها لغسل اليدين قبل تناول الطعام .. وكيف غسل يداه فى شوربة المشروم التى قدمت بعد فاتح الشهيه من الأسماك .. وقد أتى لنا ببعض سندوتشات الجبن التى تقدم مع الفاكهه بعد تناول الطعام ...

وكما هو المعتاد فى مطار هيثرو .. يتم عمل مقابله بالمطار قبل السماح لك بدخول البلاد .. وقد أشرنا عليه أن يفيد إنه جاء بحثا عن عمل .. I am looking for a job .. رغم إنه بالطبع يحمل تأشيره سياحيه ..

تم التحفظ على الصعيدى وإنطلقنا نحن إلى عنواننا السنوى المألوف بإيرلس كورت .. حى العرب بعد إطمئنانا إلى التخلص من الصعيدى العنترى .. وفوجئنا بعد وصولنا بسويعات بسيارة الشرطه تقرع باب المسكن مصطحبة هاشم حيث أن العنوان كان مدون بكارت الدخول هذا وقد وفرت له عمل تقديرا لصراحته .. وأفاد الضابط أن هناك باص العمال سيقله الى مزرعة العمل

الساعة الثامنه صباحا أمام محطة المترو ..الصابواى .. والمدهش أن يتم أخذ تعهد علينا بعدم الإلتحاق بأى عمل أثناء تواجدنا بالمملكه وأوصى بعدم تجديد الإقامه وتم تدوين ذلك فى جوازات السفر ..

لم نصدق ولم نستوعب الأمر .. ولولا سابق معرفتنا بصاحب المطعم التركى الذى إعتدنا العمل لديه فى السنوات السابقه لما تمكنا من الإلتحاق بأى عمل ..

كان من المفترض أن يقوم أحدنا كل إسبوع بتجميع الملابس المستعمله والتوجه إلى المغسله العموميه .. وجاء الدور على هاشم وبدل الذهاب إلى المغسله أشرنا عليه النزول إلى صاحبة العقار الإنجليزيه .. صعبة المراس .. وإستئذانها فى إستخدام غسالتهم الخاصه .. فى مغامره غير محسوبة العواقب .. ربما تنتهى بإستقدام الشرطه وترحيل الصعيدى ..

توجسنا الحذر فيما يقرب من ساعتين حتى فاجئنا الأستاذ هاشم بصعود الدرج .. ممسكا بتلابيب باسكيت تم إستعارته من صاحبة العقار يحوى داخله غسيل ناصع البياض .. زاهى الألوان ..

كان الصعيدى يأتى إلينا ببعض عبوات العصير من مزرعه العنب التى يعمل بها ونحتفظ بها داخل الثلاجه .. وقد إعتاد أخذ إحدى العبوات البارده ليقوم بتناولها فى الباص الذى يقله إلى مكان العمل الذى يبعد ما يقارب الساعتين عن مكان إقامتنا .. وقد إتفقنا فى أحد الأيام إستبدال عصير العنب بواين كحولى .. مشروب النبيذ الأحمر .. ورغم أن هذا المشروب لا يثلج .. إلا أن للضروره والمقالب أحكام ..

الطريف فى الأمر إنه لم يعد إلينا فى هذا اليوم وعلمنا منه فيما بعد إنه تم إستضافته بعد الونونه فى منزل مديرة المزرعه .. وقد صار أقرب المقربين إليها .. وقد إعتاد فيما بعد قضاء الكثير من الأوقات والليالى معها ..

عاد هاشم إلينا ذات مره حزينا مهموما .. ليفضى لنا كيف إقتحم طليق المديره المتصابيه المنزل وكيف توعده بوابل من البذاءات وعبارات التهديد .. وكيف حاول دق عنقه لولا تصدى المطلقه الحسناء لعنفوانه .. ووقوف درع الحجاب لحيلولة الفتك به ..

لابد أن هناك سرا ما يخفيه هذا الحجاب .. لذا قررت الإستيلاء عليه ولو لفتره تجريبيه .. وبالفعل إستطعت خلعه من رقبة الصعيدى الذى يغض فى سبات عميق أثناء نومه ..

والغريب أننى بمجرد خروجى هاجمنى مجموعه من البلطجيه ذوى البشره السوداء حين لمحوا الحجاب معلقا فى عنقى .. وإنهالوا على ضربا ولكما ورفسا ..

علمت منهم فيما بعد إنهم يتبعون طليق المديره الطروب حين أنذرونى عدم الإقتراب منها مرة أخرى ..

فى هدوء تام حملت آلامى مكللا بجروحى متشحا بنصيب وافر من الدماء .. وتسللت إلى الغرفه معيدا الحجاب لعنق صاحبه موقنا أن الحجاب شخصى جدا مقرون مفعوله بإبن أم هاشم فقط لاغير ..

فى رحله ترفيهيه إلى أشهر أحياء أفلام البورنو وعروض الإستربتيز .. حى السوهو الشهير الذى لا يرتاده إلا الكبار فقط .. إصطحبنا الصعيدى معنا وكلنا يعلم إننا مهلبين مسروقين لا محاله .. لذا حرصنا جميعا على عدم الإحتفاظ بأى نقود أو مشغولات أو ساعات يد .. لا نحتفظ إلا بتذكرة عودة المترو ..

ولكن للأسف لم ينتبه الصعيدى إلى خلع ساعة يده التى تم الإستيلاء عليها مع بعض النقود التى كان يخفيها فى جوربه ولم يتركوا له سوى حجاب أم هاشم .. وقد تغامزوا هرجا ومرجا حين علموا أن هذا الحجاب لمباركة حامله والحفاظ عليه .. وحمايته من الأذى والسرقات ..

قبل المغادره وجدناهم ينازل بعضهم البعض فى اللعبه الشهيره المعروفه بالرست .. وهناك مراهنات عده بين كل فريق .. المدهش أن يطلب هاشم الصعيدى منازلة أحدهم الذى يفوق ذراعه حجم هاشم بالكامل .. والأكثر دهشه أن تكون الغلبه للصعيدى أبو حجاب ..

تناوب الزنوج طعم مذاق الهزيمه والهوان .. وتضاعفت أرقام المراهنات مع صدى الآهات .. وإستطاع الصعيدى ذو الجسم النحيل إسترداد ساعته مع تحصيل مبالغ طائله .. نسبته من المراهنات .. وقد فاقت شهرته أجمل غوانى الحى وأضخم حراسه .. وفى المنازلات الأخيره إشترطوا خلع الحجاب ولم يغنى هذا عن تلقينهم درس صعيدى قاسى .. فربما كان شعاع الحجاب ومفعوله مازال يسرى الساعد الفولازى .. الغريب إنهم لم يسمحوا لنا

بالمغادره إلا بعد دعوتنا إلى وليمه تليق بهذا الكائن الخرافى وصحبته من الفراعنه ..

مرت الأيام وقد زاد عدد المقيمين بالمسكن إثنان .. حيث أصبحت الغيره والحقد من السكان المتأصلين واللتان لا تبرحان المنزل على الإطلاق .. كيف تفوق علينا هذا الصعيدى الذى يفتقد لجميع المؤهلات العلميه واللغويه والتجريبيه .. وقد أصبح أكثرنا إستقرارا وأوفرنا مالا ..

كانت صاحبة العقار الإنجليزيه وإبنتها الحسناء التى يفوق حسنها فيرجينيا جميلة الجميلات تعيشان بمفردهما .. ورغم محاولاتنا المستديمه مغازلتها ومحاولة إستمالاتها أكثر من مره .. إلا إنها كانت شخصيه عنصريه متعجرفه .. تتعامل معنا نحن العرب بكثير من الإستعلاء والأزدراء ..

فى محاوله أخيره .. إستطعنا أن نوهم هاشم إنها تميل إليه ودائمة السؤال عنه .. ولكن عليه أن يأخذ بزمام المبادره .. وقد توجه إليها ودق بابها ليصرح لها بما لقناه إياه .. may I kiss you .. وعليه أن يبادر بتقبيلها وعدم إنتظار ردها ..

تسللنا إلى منتصف الدرج حتى نستطيع الإنصات جيدا إلى البذاءات الإنجليزيه أو ربما نتلمس دوى صفعه توشم وجه الصعيدى الفتك .. أو إستدعاء سيارة الشرطه وترحيله ..

تجسسنا .. توجسنا .. ترقبنا .. إنتظرنا .. إنتظرنا طوييييلا .. فبعد صيحات رفض ودهشه .. ساد الصمت والهدوء .. لا معالم لموقعه حربيه ولا أثر إلى معمعه إحتجاجيه .. طال الوقت وغلبنا النعاس .. لنستيقظ فى الصباح الباكر على صوت هاشم يعد حقائبه للإنتقال إلى الطابق السفلى .. بعد أن إستطاع دك حصن الإنجليزيه الحسناء ..

حان موعد تجديد التأشيره .. توجهنا إلى مكتب التأشيرات الواقع بإيست كرايدون .. إحدى ضواحى لندن .. فى محاوله شبه مستحيله لتجديد الإقامه .. لنفاجئ بقدوم الصعيدى فى سياره فارهه .. تتأبطه الجميله الحسناء .. ليقوم بتجديد التأشيره .. وتقوم هى بضمان تجديد إقامتنا بعد أن تم رفضها طبقا لتعليمات الشرطه التى أوصت بعدم التجديد ..

ألفنا الذهاب إلى السوهو فى الأجازات الأسبوعيه .. إبتغاءا لبعض الفرفشه .. وتحصيلا لبعض أموال المراهنات .. ورؤية

أصدقاء كان مجرد تحيتهم من بعيد يعتبر مغامره ومصافحتهم يعد من العمليات الفدائيه ..

وفى مكيده أخرى إقترحنا على الصعيدى التوجه إلى الجندى المرابط لمحطة المترو ليقوم بأخذ صوره سيلفى .. على أن يقوم إستئذانه selfie photo bloody guy والغريب فى الأمر قيامه بالتصوير دون غضب أو إعتراض الجندى الهمام على بذائة الجمله والإهانه الموجهه إليه ..

أثناء العوده وعند تواجدنا بمحطة مترو الأنفاق .. وجدنا الجميع يصرخ ويشير إلى جسم غريب ويصيح ويهرول .. بومب .. بومب .. bomb .. بومب .. هرولنا جميعا مع الفارين .. إلا هاشم الذى إقترب من الجسم .. هامسا كيف يخاف الإنجليز من كيس بومب .. ونحن نلهو به فى الأعياد .. وحين زاد إقترابه سمع صوتا صادرا من كاميرات المراقبه .. pull off the green wire .. تكرر الصوت أكثر من مره دون جدوى .. صحت بأعلى صوت .. شد السلك الأخضر اللى جوه الكيس .. شده .. أخيرا إستقبل الصعيدى الرساله .. وتم نزع السلك الأخضر ليوقف إنفجار قنبله لا يعلم مدى فداحة خسائرها إلا الله وخبراء المفرقعات ..

صار الصعيدى المصرى هاشم بين ليله وضحاها بطل إسطورى تتناقل صوره جميع دور النشر وقنوات التلفاز بعد أن إستطاع إبطال مفعول القنبله .. وإنهالت عليه اللقاءات .. ودور النشر

أعلنت الحكومه البريطانيه .. رصد مكافأة مجزيه جدا لمن يدلى بأى معلومات تشير إلى إرهابى تخفى فى زى رجل شرطه قام بدس هذه العبوه الناسفه بعد أن تعمد إخفاء وجهه عن الكاميرات بطريقه إحترافيه مخطط لها جيدا ..

تقدم الصعيدى أبو حجاب بصورته السيلفى لينال مكافأه تفوق الخيال ويتم إستدعائه إلى لقاء الملكه فى قصر برمنجهام وقد قلد وسام الشجاعه مع منحه الجنسيه البريطانيه ..

لم يجد أهالى حى السوهو خير من صديقهم الصعيدى البطل لتمثيلهم فى البرلمان بعد أن صار بريطانيا له حق التصويت والترشح .. وهاهو أصبح نائبا .. وبات من طبقة الأغنياء بعد أن أغدقت الإعلانات عليه أموال طائله .. وأصبح ممن يشار إليه بالبنان فى مدينة الضباب .. لندن العريقه ..

إنتهت الأجازه .. وحان وقت العوده إلى القاهره المحروسه .. وكان فى وداعنا النائب هاشم وزوجته الحسناء مع وعد منه

بتوفير عمل لنا بالعاصمه الضبابيه حين عودتنا بعد إنهاء الدراسه ومدة التجنيد ..

أثناء تواجدى بالطائره فى رحلة العوده .. تذكرت فوبيا الأماكن المغلقه .. وتطلعا لإنتقالى للدرجه الأولى .. إستدعيت المضيفه وبادرتها سائلا .. how do I open the window?

إلا أن رد الفعل جاء مغايرا مختلفا .. فقد تم إستدعاء رجل الأمن المرافق للرحله .. وتم نقلى إلى آخر مقعد بالطائره فى صحبته وتحت حراسته .. ولولا تقديم إعتذار مكتوب متذرعا إنها مجرد دعابه لإستمالة المضيفه الحسناء .. لأصبح إسمى يزين القائمه السوداء التى تضم الممنوعين من السفر .. آه .. تناسيت أننى لا أحمل حجاب أم هاشم ..

فور عودتنا إلى مصرنا الحبيبه وقبل فتح الحقائب وتوزيع الهدايا والإنغماس فى المذاكره ومراجع الدراسه .. حرصنا جميعا على التوجه إلى الصعيد لتوصيل الرسائل إلى أبو هاشم .. وكان همنا الأكبر .. لقاء أم هاشم وتقبيل يدها .. وسؤالها الدعاء لنا .. ومنحنا درع يقينا ويحمينا فى الدراسه و الحياه العسكريه .. وإهداء كل منا حجاب يجعلنا من صفوة العباد .. شالله يا أم هاشم ..

ببركاتك ودعواتك .. جعلتى من صعيدى لا يملك إلا الحجاب .. عضو برلمان فى عاصمة الضباب ..

المدهش فى الأمر تواجد جناب السفير البريطانى بصحبة أبو هاشم وحرصه على إلتقاط بعض التصاوير مع أفراد العائله .. والأكثر دهشه إنشغال أم هاشم بطابور طوييل من الأجانب يحملون لافتات بجميع لغات العالم .. من فضلك نريد حجاب .. جاءوا جميعا من أجل الحصول على بركات أم هاشم .. والفوز بتعويذة .. حجاب أم هاشم

فيديو .. عالم ذره

نشأت يتيما .. حيث رحل والدى قبل ان يفك لسانى طلاسم حروف كلمة بابا .. وكم كنت محظوظا بزواج أمى .. حيث إشترط جدى إنتقالى للمعيشه معه ببلدته الصغيره بمحافظة الغربيه بجوار مدينة السيد البدوى .. فقد كان جدى رجل حنون حكيم .. لديه دائما إجابات وافيه لأسئلتى المتلاحقه .. كما كان يجيد الأعمال اليدويه اللازمه لتدابير البيت .. وكنت أنا صبيه الذى يمده بما يحتاجه من معدات ومساعدات وقطع غيار .. مما جعل منى .. سباك متمرس .. وكهربائى متميز .. ونجار لا بأس به ....

كان جدى مغارة معلومات وسرداب حكايات وحكمه لا منتهى لها .. وكان يحثنى دائما على التميز .. كما كان يبالغ فى إكرام أمى عند حضورها للإطمئنان على كل يوم خميس .. وإن أخطأت النتيجه يوما فى أيام الأسبوع .. لا تخطئ أمى أبدا يوم الخميس الذى لم تغفله مره قط..

كان جدى يحاول دائما تفجير طاقاتى .. والوقوف على هواياتى وتطلعاتى .. وكان يبارى أبناؤه فى تربية الأطفال .. وكنت محل

غيـرة الكثيـرون مـن أحفـاد العائلـه .. زادت بتميـزى الدراسـى وحصولى على أعلى الدرجات لأحتفظ دائماً بالمركز الأول على مستوى المحافظه .. ومن منطلق .. أن العقل السليم فى الجسم السليم .. حرص جدى على تربيتى بدنيا وتنمية مهاراتى فى كرة القدم التى أعشقها وأتقنها .. حتى صرت أصغر شبل ينضم إلى الفريق الأول لنادى طنطا الرياضى..

كانت المفاجأه الكبرى حين تلقيت عرض خيالى للإنتقال إلى القاهره .. والإنضمام إلى نادى القرن .. وبالفعل تم الإنتقال واللعب لأشبال الفريق .. وبعد عدد قليل من المباريات .. صدر قرار بتصعيدى إلى الفريق الأول ليتحقق حلم عمرى وأكون أصغر لاعب يلتحق بفريق القرن..

وحيث أن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. وليس كل ما تحلم به تناله .. فقد أصبت إصابه بالغه أثناء التمرين فى تقسيمه تدريبيه .. ويكون موعد إشتراكى فى أول مباراه .. هو تاريخ إعلانى إعتزال معشوقتى كرة القدم .. ورغم تكفل النادى بعلاجى التام ومحاولات إثنائى عن قرار الإعتزال .. إلا أن إصرارى جاء نتيجة إحساس أن إصابتى جاءت بفعل فاعل ومع سبق الإصرار والترصد بعيدا تماما عن أى روح رياضيه..

لم تعوقنى إصابتى عن ملاحقة دروسى بالثانويه العامه .. وقد فاقنى أحدهم وحرمنى المركز الأول .. وجاء ترتيبى الثانى على الجمهوريه .. ورغم توجه الأوائل دائما إلى كليات القمه من طب وهندسه .. إلا إن قرارى كان الإلتحاق بكلية العلوم .. قسم ذره .. وكما كنت محظوظا بكفالة جدى ورعاية نادى القرن .. من الله على بإحتضان الدوله وإهتمام شخصى من رئيس الجمهوريه وكبار علمائها بالحفيد اليتيم المتيم بدراسة علم الذره بعد ترشيح أساتذتى وتحمسهم لشخصى المتواضع..

بدأت رحلة الدراسه الغير تقليديه .. رحله لا تحتمل سوى النجاح .. ولا سبيل فيها للفشل .. رحلة صناعة عالم ذره .. رحله تسخر فيها كل إمكانيات الدوله لتنتهى الرحله بمتنزه الطاقه الذريه .. آاااه كم هى رحله شاقه ممتعه .. رحله دراسيه ندرت فيها قاعات المحاضرات وطغت المعامل على خط سيرها الذى كان يتطلب أحياناً الميل نحو كتله شرقيه أو الجناح إلى دوله أوربيه..

بعد رحله قصيره شاقه لا يتخللها أجازات ولا سبيل فيها للإسترخاء .. توجت الرحله بمنتج تحتكره دويلات معدوده .. منتج يمنحك الهجره من العالم الثالث ويصبغك بهيبة وعظمة الكبار..

شأنه شأن أى منتج .. يجب العمل الدؤوب على تعديله وتطويره ومجاراة لغة العصر .. واللحاق بكل ما هو جديد...

وذات يوم فوجئ المسئولين وجموع الشعب بإنسحابى والتقدم بإستقالتى .. رغم أننى مكثت على قمة الطاقه الذريه سنوات وسنوات وسنوات .. ورغم إستقالتى إلا أننى لا أملك حق الإعتزال .. فأنا فى خدمة الوطن ولا أنسى فضل البلد فيما وصلت إليه..

تباينت ردود الأفعال .. وتبارت أجهزة الإعلام فى توجيه الإتهامات .. فقد إتهمنى بعضهم بإنكار الجميل .. والبعض غالى فى الإتهام لحد العماله والخيانه .. مما ترتب عليه الدعوه إلى مؤتمر صحفى أفند فيه أسباب تقدمى بالإستقاله .. وأفسر دوافعى فى إتخاذ هذا القرار..

إكتظت تحفة جامعة القاهره .. قاعة ساعة القبه بالآلاف من العلماء وطلبة العلم وكبار المسئولين ومندوبى الوكالات العالميه .. قدموا جميعا لمتابعة أحداث المؤتمر العالمى .. وربما إستطاع أحدهم تفجير قضية عماله أو صفقة خيانه مع إحدى دول محور الشر ..

كما حرص مندوب الرئيس وأعضاء مجلسى الوزراء والنواب على شغل الصف الأول الذى ينتهى بكرسى متحرك يجلس عليه رجل الفطنه والحكمه .. جدى العزيز..

بـــــدأت المـــــؤتمر .. بســـــم الله الـــــرحمن الـــــرحيم .. أيهـا السـيدات والسـاده .. خـالص شـكرى وإمتنـانى لشـرف تلبيـة دعـوتى وحضـوركم المؤتمر .. وقد هـالنى مـا تابعتـه مـن تعقيـب وإتهامات .. وليعلم الجميع أننى أدين لهذا الشعب الأصيل ولهذا البلد بما وصلت إليه من مكانه علميه .. وفوق ذلك أدين لهم بحياتى .. وتعلم الأجهزه الأمنيه جيدا عدد المرات التى ساهموا فيها إنقاذ حياتى من محاولات إختطاف أو إغتيال..

أيها الساده الحضور .. أنظروا إلى هذا الجهاز .. إنه جهاز فيديو .. وأنظروا إلى هذه الفلاشه .. دققوا جيدا فى مدى التباين بينهما .. إنه الفرق بين جيلى وجيلكم .. إنكم تتكلمون لغة لا أفهمها .. لغـة الفيس بـوك والماسـنجر والبلوتـوس والواتسـاب .. وأصـارحكم القول .. أننى رجل أمى .. وقد إختلفت الأميه .. فلم تعد الجهل بـالقراءه والكتابـه .. وإنمـا أصـبحت عـدم الإلمـام بتكنولوجيـا لغـة العصر..

أيها الساده .. لنفترض دفس هذه الفلاشه تحت هذا الفيديو .. هل لها من متنفس أو جدوى ..

أيها الساده .. لقد تقدمت بإستقالتى ولا عدول عنها .. فأنا لا أقبل أن أكون فيديو .. لا أقبل أن أقف حائل دون إنطلاق الشباب وإزدهار البلاد .. وإن قالها سابقا الزعيم مصطفى النحاس .. من أجل مصر وقعنا إتفاقية ١٩٣٦ .. ومن أجل مصر نلغى اليوم إتفاقية ١٩٣٦ .. واعلنها عليكم اليوم .. من أجل مصر قبلنا مشوار التحدى .. ومن اجل مصر نتنحى اليوم جانبا لنتيح للشباب العدو فى مضمار علوم الذره..

ضجت القاعه بالتصفيق ووقف الجميع تحية لفارس العلم والعلماء..

توجهت إلى جدى .. قبلت جبينه ويداه .. ودفعت الكرسى المتحرك مصطحبا جدى إلى بلدتنا .. حيث أن اليوم يوافق يوم الخميس .. يوم لقائى الأسبوعى بجدى .. وقد ظل هذا اليوم .. هو يوم اللقاء مع تغير أبطاله .. فتبدل إنتظارى لأمى .. بترقب جدى لوصولى .. ولم يمنعنى عن جدى أو التخلف يوما عن لقاءه إلا وجودى خارج البلاد..

إستيقظت من نومى فى قريتى الصغيره لأفاجىء بمندوب الرئاسه الذى حضر خصيصا لتسليمى نوط الشجاعه من الدرجه الأولى .. فليس هناك أشجع من الإنسحاب والتضحيه بالهيلمان والمرتبه العلميه من أجل الصالح العام..

المدهش فى الأمر .. تحفظهم على الفيديو .. والإحتفاظ به فى المتحف المصرى داخل صندوق زجاجى مدون عليه بأكثر من لغه ..

فيديو .. عالم .. ذره....

تباينت طفولتى بين السعاده والشقاء .. بين الحنان والجفاء .. بين الإهتمام والإهمال.. فبقدر حنان أبى .. كانت لامبالاة أمى .. فكانت دائما ماتميل كفتها إلى أول عنقودها وفرحة عمرها قابيل الذى يكبرنى بسنوات .. وحيث أن والدى كان دائم التغيب فى أعماله المتعدده .. فقد أصبحت فريسه صائغه لدى أمى وقابيل .. وأصبحت لا أرتدى إلا مابال أو صغر من ملابسه .. كما صرت لا أتناول ألا مايشتهى قابيل من طهى أمى...

جاءت الطامه الكبرى حين غدرنا أبى وغادرنا دون سابق إنذار .. وصارت الوصايه إلى أمى .. وبالطبع بلغ قابيل السن القانونيه قبلى بسنوات .. وهأنذا أبلغ السن القانونى ويمكننى مباشرة نصيبى من أموال أبى التى ضاعت هباء .. حيث أفادتنى أمى بمديونية أبى وقد دعمت مستندات قابيل قيامه بسداد المديونيات .. وقد آلت أملاك أبى إلى قابيل بمباركه أمويه..

لم يبقى لدى سوى التفوق الدراسى لعلى أستطيع شق الطريق إلى الأمان .. ورغم تخرجى بتفوق إلا أن واجب العسكريه يحتم على الإلتحاق بالتجنيد رغم إعفاء قابيل أكبر الأبناء بعد رحيل الأب..

بعد إنتهاء مدة التجنيد إستطعت اللحاق بإحدى الشركات الكبيره .. وقد حان وقت الزواج .. وحين أفضيت إلى أمى رغبتى فى الإرتباط من إبنة خالى الحسناء .. فوجئت بتصريحها إنها تمت خطبتها إلى أخى قابيل...

بالفعل تمت الخطبه .. ولم تمضى شهور إلا وفارقت أمى الحياه .. ليفاجئنى قابيل بعد الأربعين إمهالى فترة لترك المنزل .. حيث إنه قرر أن يتخذ منه عش للزوجيه .... لم يكن هناك سبيل إلا الإنتقال إلى أحد فروع الشركه برأس غارب بالبحر الأحمر حيث تتوافر إستراحه خاصه لموظفى الشركه..

بدأت رحلة الكفاح وقد كنت أول موظف يسعى إلى الهجره من الإداره الأم إلى إحدى محافظات المنفى التى تجمع جميع الكسالى والمنحرفين والمغضوب عليهم .. ولم يكن عسيرا أن أضيف بصمه إلى مجال العمل فى مثل هذا الجمع الغير مسئول ... بعد مرور سنوات وإدخار مبلغ لا بأس به من النقود يسمح بشراء شقه صغيره فى إحدى ضواحى القاهره .. تم الإستجابة إلى مساعى رؤسائى فى المركز الرئيسى وتمت عودتى إلى قاهرة المعز الساحره ...

توجهت إلى قابيل ناشدا حجرة نومى التى تركتها أمانه لديه .. ولكن للأسف لم أجدها فقد إستبدلت بحجرة مكتب .. وقد أفادنى قابيل بيعها روبابيكيا ...

رغم إشتياقى لحجرتى التى عمق فقدانها إحساسى بالغربه التى إنتقلت معى من منفاى .. إلا أننى لم يكن لدى إلا التسليم بالأمر الواقع .. وبدأت رحلة تجهيز الشقه التى إستغرقت وإستهلكت سنوات من أجمل سنوات العمر..

فجأه .. أدركت مضى قطار العمر حين لمحت بعض خصيلات الشعر الأبيض تتسلل إلى مظلة رأسى .. وقبل خروج القطار عن القضبان .. إستطعت اللحاق بآخر المحطات .. وتم قرانى من إحدى الزميلات الفاضلات ... وبالطبع كان قابيل الشاهد الأول على العقد .. فله اليد العليا والكلمه الأخيره فيما يخصنى .. بل ويخص شئون جميع من حوله....

مضى مايقارب إحدى عشر شهرا .. وحان موعد إستقبال أول مولود .. ونظرا لمشاكل صحيه نسائيه لأم تحمل فى إحشائها توأم .. فضل الطبيب الإبقاء على زوجتى فى المستشفى تحت الملاحظه حتى يتم إستقبال توأمنا فى سلام ..

حرصت على مرافقة زوجتى التى إستمد منها إحساسى بالحياه .. فقد صارت هى أمل الحاضر والمستقبل بعد ظلام الماضى وظلمه..

حانت ساعة الصفر .. وتم إستدعاء زوجتى والطبيب إلى حجرة العمليات .. وظللت أنا بحجرة الإنتظار .. أردد بعض الأدعية .. وألهى نفسى بمتابعة شاشة التلفاز التى ترصد كم من الحروب والدمار وعدد هائل من قتلى الشعوب المسالمه التى لا تنتج السلاح بل تستورده او تستقبله كهدايا فى أعياد الكريسماس من بلاد تنعم بالأمن والأمان والرخاء .. بلاد تستولى على الثروات وتزيف الخرائط والمستندات .. بلاد تسرق التاريخ والآثار بعد أن تتدعى انها روبابيكيا .. بلاد يحكمها بابا قابيل .. وتنعم بمباركة ماما أمريكا...

أخيرا جائتنى البشرى فقد رزقت توأمى الجميل ... أصر قابيل أن يهب إسمه إلى أحدهم .. مما جعلنى أصر أطلاق إسم هابيل على الآخر .. فربما إستطعت إستعادة عباءة الإستقامة إلى الحياه...

أقر وأعترف أننى لم أكن يوما عادلا أو حياديا بينهما .. بل دائما ماكنت أميل أو أنحاز وأنجرف إلى هابيل ... وكثيرا ما آخذت قابيل على تجاوزات هو منها براء .. بل تجرعتها أيام الطفوله .. وحانت لحظات رد الأعتبار...

كنت حريص كل الحرص أن تظل يد هابيل هى العليا .. وأن تكون له كل الهيمنه .. وأن أنمى فيه كل ما أفتقدته من شجاعة المواجهه .. والسعى إلى الحقوق .. والجساره فى رد المظالم..

ولكن لا تأتى دائما الرياح بما تشتهى السفن .. فأنا أريد .. وأنت تريد .. والله يفعل مايريد .. ففى غفلة من الزمن .. إستقبلت نبأ وقوع حادث للأخوين .. توجهت إلى المستشفى مشتت الفكر والأعصاب .. ليلاقينى قابيل الذى كان يقود السياره بخدوش طفيفه .. ويخبرنى بتواجد هابيل بغرفة العمليات منذ أكثر من ساعتين..

لا أدري .. هل فعلها قابيل أم هى حكمة الله فى الأرض .. هل من حكمته .. أن يقتل قابيل أخاه هابيل فى بدء الخليقه .. أن يقتنص يعقوب بركة النبوه من أسحق بدلا من ان تؤول إلى اخيه عيسو بخديعه من الأم .. أن يقوم الملك بيلاطس بالإستجابه إلى

ضغوط اليهود ويأمر بصلب السيد المسيح بعد أن سلمه يهوذا وأنكره بطرس الذى شيدت على صخرته أول كنيسه .. هل من حكمته سبحانه .. أن يقتل الفاروق عمر بيد مجوسيه حمقاء .. وألا يستحى الإرهاب من النيل من رجل إستحى منه الرسول الكريم .. هو عثمان بن عفان مؤسس أول أسطول إسلامى بحرى .. وأن تطول اليد الغاشمه روح علامة الأمه وفقيه الإسلام على بن أبى طالب..

لا أدرى .. هل هناك حكمه أن يظل قابيل هو المهيمن .. هل ترك الله دنيا الأرض إلى قابيل وأعوانه .. على أن تخصص الحياه الأبديه إلى هابيل وأخوانه .. لا أدرى .. فالظنون تملأ رأسى..

كادت الظنون تتحول إلى يقين حين علمت من الطبيب أن هابيل كتب له أن يعيش كسيحا على كرسى متحرك .. يسوقه قابيل يمينا ويسارا كيفما يشاء..

تبددت الظنون حين أدركت آيه من آيات الله فى قرآنه الكريم .. إذ قال الله تعالى .. من يعمل مثقال ذرة خير يرى .. ومن يعمل مثقال ذرة شر يرى ... صدق الله العظيم

نفضت عن نفسى كل الظنون والهموم .. ودعوت السماء أن ترزقنى أولاد آخرين .. وعاهدت الله أن أسمى كل منهم هابيل .. لعل أحدهم يستطيع يوما أن يزيح قابيل .. وان يتولى هابيل حكم العالم ليسود السلام النفس البشريه .. وتفيض السكينه والهدوء أرجاء الكره الأرضية....

عزيزى القارئ .. أستحلفك بالله أن تحذو حذوى وأن تعيد إسم هابيل إلى الحياه .. وأن تطلق إسمه على أول مولود لديكم .. داعين الله أن يكون هذا القرن هو نهاية حكم قابيل .. وأن يتولى هابيل إرساء العدل والحق فى قارات الله الخمس....

الشهيد

علـى إثـر إقتحـام وكـر للإرهـاب المتأسـلم .. إسـتطاعت القـوات الخاصـه القبض علـى ثلاثه من أخطر العناصر المتشدده .. كما تم تصفية رابع الخليه .. وإن طالتنى طلقات سلاحه الآلى قبل أن يلفـظ أنفاسـه الأخيـره ومنحتنـى قـلادة الشـهاده .. لأفتـرش بسـاط الأرض يلامس جثمانى دماء أحد أئمة الإرهاب المتأسلم .. وأسمع صـوت أحـد زمـلاء الواجـب يتـرحم علـى ويـأمر بعـدم المسـاس بالجثـامين أو ملامسـة أى شـئ آخـر إنتظـارا لفحوصـات ومعاينـة الطب الشرعى..

بعد فترة طويلـه لـم تتجـاوز الفيمتـو ثانيـه .. سـمعت صـوتا مـدويا خفيا يأتى من المجهول هاتفا ..

فليتقدم الشـهيد ... هممت بتلبيـة النـداء ولكننـى تعثرت فـى لحيـة القتيـل الكثيفـه الـذى كـان يزاحمنـى التقـدم .. تلبيـة للنـداء .. وإذ بنفس الصوت يأمرنا إلتزام الصمت والإنصات .. ويتوجه للقتيل بحزمـه من الأسـئله والإستفسـارات .. ويشـير إلـى بـإلتزام السـكون والصمت الرحيب .... وتبدأ الأسئله..

ماهى دلائل شهادتك ؟

إننى من حفظة القرآن .. وأحرص على صلاة القيام .. وأجاهد من أجل علية المسلمين والإسلام ...

ماذا تعمل ؟ وماهو مصدر رزقك ؟

أعمل بالجهاد وهو مصدر رزقى ...

هل أنت متزوج ؟

نعم .. أنعم الله على بزوجتان من أخوات الجماعه .. بالإضافه إلى بعض السبايا الحسان .. ولدى من الذكور والإناث إحدى عشر .. فضل من الله وإحسان ..

كيف تنفق على كل هؤلاء .. والدنيا غلاء ..

يتولى أمرهم أمراء الجماعه .. أما أنا فلدى مهام جسام ..

هل قتلت هذا الرجل ؟ .. ولماذا ؟

نعم .. لإنه زنديق كافر ...

هل قتلت غيره من الأبرياء ؟

نعم .. فكل جهاد ولديه ضحاياه .. ثم إنهم قوم خطائون يرتضون بغير شرع الله حكما ونظاما ..

هل لديك سلاح ؟ وكيف حصلت عليه ؟

نعم .. لدى مجموعة أسلحه .. وقد وفرتها لى الجماعه ..

أين وكيف تدربت على هذه الأسلحه ؟

داخل معسكرات داخليه خفيه وأخرى إقليميه .. وتحت إشراف مجموعات من صفوة المدربين الذين لا يجيد معظمهم اللغه العربيه ..

كيف تمول هذه المعسكرات ؟ .. ومن يقوم بسداد فواتير الأسلحه ورواتب المدربين والمجاهدين ؟

الجماعه وأئمتها وذو الرغد من أعضائها ...

هل تصنعون هذه الأسلحه .. أم تبتاعونها من دول غير إسلاميه .. بل وتتربص بالإسلام ..

لا تتوفر لدينا المصانع أو التكنولوجيا اللازمه لإنتاج السلاح ... ولا أعلم شئ عن مصادر هذه الذخائر ..

هل تعلم أن هناك المئات من المجاهدين أمثالك قد لقوا حتفهم ؟ ألم يسترعى إنتباهك خلو قوائم قتلى المجاهدين من الأئمه والقاده وأمراء الجماعه ؟

لم ألتفت إلى هذا ..

قد ذكرت إنك من حفظة القرآن .. فلتدلنى على معانى تلك الكلمات والآيات ؟

مامعنى الجاثيه وماالمقصود بالأحقاف ؟ .. وماالفرق بين المزمل والمدثر ؟ .. وما المقصود بالنازعات غرقا ؟ .. والعاديات ضبحا

.. فالموريات قدحا ؟ .. ماذا تعلم عن صمدية الله سبحانه وتعالى فى سورة الإخلاص ؟

صمت الرجل طويلا .. وتلعثم قليلا وقد دس لحيته الكثيفه بين كفيه حياءا وخجلا ..
ثم إستطرد الصوت المجهول .. أى إنك لا تعمل .. وتقتل الأبرياء بغير حق .. وتكفر إخوانك فى الإسلام .. وتحاربهم بأسلحه من صنع الشيطان .. وتفوح من أموالكم رائحة الحرام .. ولا تتدبر آيات القرآن ....
حمارا يحمل أسفار...

ثم إنتبه إلى مستفسرا .. ماهى دلائل شهادتك ؟
إننى أؤمن بالله وكتبه ورسله وأركان الإسلام الخمس .. وقد أديت فريضة الحج العام الماضى ..
ماذا تعمل ؟ وماهو مصدر رزقك ؟
أنا ضابط بالقوات الخاصه .. وراتبى هو مصدر رزقى ...
هل أنت متزوج ؟
نعم .. ولدى ولد وبنت ..
كيف تنفق عليهم ودنياكم غلاء ؟
من راتبى والمكافآت السخيه التى أتقاضاها إبان العمليات التى

أقوم بها .. كما أن هناك بعض التسهيلات العينيه التى توفرها لنا الدوله .. وفى حال إستشهادى تقوم الدوله برعايتهم .. ويقوم زملائى بالمشاركه فى تجميع مبلغ مليون جنيه يتم سداده لورثة من يستشهد منا ....

هل قتلت هذا الرجل ؟ ولماذا ؟

نعم .. دفاعا عن الوطن ودرءا لترويع الآمنين والتربص للأبرياء وقتلهم بغير حق ...

هل قتلت غيره من الأبرياء ؟

حدث بالفعل .. ولكن فى أضيق الحدود فحين تداهم وتطارد إرهابى .. يتملكك الخوف وتطيش طلقاتك أحيانا لتصيب بها برئ دون قصد .. وتقوم الدوله بسداد الديه الشرعيه فى صورة تعويض مناسب ..

هل لديك سلاح ؟ وكيف حصلت عليه ؟

مجموعه من الأسلحه .. بعضها أقوم بتسليمه عقب إنهاء العمليه .. وبعضها يظل معى كعهده .. تتسلمها الإداره عند إستشهادى أو بعد نهاية خدمتى ..

أين وكيف تدربت على هذه الأسلحه ؟

داخل معسكرات داخليه وأخرى إقليميه .. وضمن مناورات مشتركه مع دول أخرى وتحت إشراف صفوه من خبراء العسكريه العالميه

..

كيف تمولون هذه المعسكرات وتلك المناورات ؟

تقوم الدوله بالتمويل وأحيانا تقوم بعض الدول بالإنفاق تطوعا أو الإسهام ..

هل هذه الدول إسلاميه ؟

ليس بالضروره ...

هل تصنعون السلاح أم تبتاعونه ؟

نصنع بعض الأسلحه البدائيه .. أما أسلحة مكافحة الإرهاب .. تحتاج تكنولوجيا متطوره نضطر لإستيرادها من الخارج ...

هل تأتون بهذه الأسلحه من بلاد إسلاميه ؟

لا .. معظم دول منشأ السلاح .. غير إسلاميه

ألم يسترعى إنتباهك خلو قائمة شهدائكم من الرتب العليا ؟

ربما كان هذا فى السابق .. أما اليوم فقد ودعت أكثر من رتبه .. وإستشهد أكثر من قائد ..

قد ذكرت إنك أديت فريضة الحج العام الماضى .. فلتدلنى على معانى تلك الكلمات والآيات ...

ماالمقصود .. بالصافات صفا .. فالزاجرات زجرا .... والذاريات ذروا .. فالحاملات وقرا .... وما معنى التغابن ومن هم الأعراف .. ومن هو رسول أصحاب ليكه ؟

صمت الرجل طويلا .. وتعلقت عيناه بمحيط قدميه أسفا وعجزا ...

إستطرد الصوت المجهول .. أى إنك تتدرب على أسلحه تم إستيرادها من الخارج .. يشوبها تمويل أجنبى .. وتحت إشراف خبراء يكنون كل العداء للإسلام والمسلمين .. وتشهر سلاحك فى وجه أخوك المسلم .. ولا تتدبر آيات القرآن ...

حمارا يحمل أسفار ...

ظننت إنها الهاويه ..

ولكن عاود الصوت صداه ..

لقد شفع لك دفاعك عن الوطن .. وثأرك لمن سالت دماؤه من الأبرياء .. والعمل على توفير الأمن والأمان لأهل بيتك وشعب وطنك ..

عليك بالتقدم والصعود درجه ...

وأشار إلى ذو الذقن الكثيف ..

ألم تعلم إنه من قتل مسلم بغير حق .. كإنه قتل الناس جميعا .. فلتبقى مكانك .. ويؤجل حسابك حتى يحين أجل أميرك أو مرشدك .. لننظر هل يتبنى إثمك وعدوانك .. أم يحملك أنت قضاياه وكل خطاياه .. ويشير إليك بجميع أصابع الإتهام...

أيهـا المـواطن المسـلم .. أيهـا الأخ المسـيحى .. أيهـا المتطـرف اليهودى .. أيهـا الإنسـان فـى كـل مكـان .. أحـرص علـى الحيـاه الطيبه الكريمه ... وأعلم أن هناك متسع لجميع خلق الله فى دنيا الله ..

عزيـزى بنـى آدم .. تأمـل فيمـا حولك من شـئون الكون .. وتتدبر آيـات الله وإعجـازه فـى بـديع خلقـه .. أحـذر أن تعـيش فـى الـدنيا كالخفـافيش التـى تحيـى فـى الظـلام .. وإنتبـه أن تسـير فـى رحلـة العمر ..... كالحمار يحمل أسفار...

جلباب .. ودبوره .. ونسر ...

فى زفه مهيبه ودعت قرية صناديد بمحافظة الغربيه عريس السماء الشهيد احمد الرفاعى الذى اغتالته ايادى الإرهاب الأسود .. هذا وقد امتزج بكاء الأهالى بدموع الأرض التى نشا وكبر فيها البطل .. حرص المحافظ وجميع قيادات الشرطه على راسهم السيد الوزير ان يتقدموا الصفوف متلاصقين مع ابو الشهيد ومع محمود الأخ الأكبر لأحمد الذى يعد بمثابة اب ثانى له نظرا لفارق السن بينهما .. احتضن تراب الأرض العريس مرتديا حلة عرس الشهداء .. علم مصرنا الحبيبه .. سهرت القريه إلى ساعات متأخره من الليل وتبارى الشيوخ فى تلاوة ماتيسر من آيات القران الكريم .. ورغم قمرية الليله إلا ان القريه بالكامل كانت ملفحه بالسواد القاتم مما اضفى مزيد من الحزن والظلام على سماء القريه .. اظننى لم اتى بجديد فيما تم سرده .. فهذا الحدث يتكرر كل حين فى جميع محافظات مصر ومع اكثر من بطل تطوله ايادى الإرهاب الأسود .. ولكن الجديد ان يفاجئ اللواء هاشم بمحمود الرفاعى مرتديا جلبابه القروى واقفا على باب مكتبه مستاذنا فى المقابله .. ظن اللواء ان محمود يقصده فى حاجه له او ينشد تسهيلا لإجراءات معاش احمد .. وان كانت الوزاره وزملاء احمد قد قاموا بما يجب

علـى الوجـه الأكمـل .. انـدهش اللـواء مـن إصـرار محمـود علـى التطوع فى الشرطه سعيا للأخذ بالثأر من القتله .. وتحت إلحاح اخـو الشـهيد الـذى تقمـص روح الصـعايده فـى الأخـذ بالثـأر .. إضـطر اللـواء الإسـتجابه وبـدء فـى إجـراءات التعيـين بعـد مـلأ الإستمارات الخاصه بالشهادات المتخصصه وغيرها من الشكليات .. كان محمود يتمتع بشعبية كبيره نظرا لما يتميز بـه من شـهامه ومروءه وكرم واداء للواجب مع الصغير قبل الكبير .. وفى خلال فتره وجيزه وبدعم وتواصل مع اللواء هاشم إستطاع أن يكون مجموعه كبيره من مرتدى الجلباب البلدى وحقق بهم نجاحات لا مثيل لها وإستطاع الإيقاع بأكثر من خليه إرهابيه فى زمن قياسى .. على اثر ذلك تم ترقية محمود بشكل إستثنائى إلى رتبة ملازم أول ..

ظل محمود وفرقة الجلباب يسعون إلى وئد بذور الإرهاب وحصد تقاوى الخيانات وقد امتد نشاطهم إلى محافظات مجاوره فى المنوفيه وكفر الشيخ .. وقد تدفقت الإستثناءات فى ترقية محمود .. إلى ان وصل إلى رتبة مقدم .. اى دبوره ونسر .. وفى إحدى لقاءات التواصل مع سيادة اللواء .. عرض على محمود خلع الجلباب وإرتداء الزى العسكرى تعويضا للأب عن إبنه الشهيد .. إلا ان هذا العرض قوبل برفض قاطع وحاسم من المقدم محمود

.. مصـرا علـى إرتـداء جلبابـه البلـدى ... وتمـر اسـابيع ويفـاجئ الجميع بظهور حركة الشرطه متضمنة إقصـاء اللواء هاشم لبلوغه سـن التقاعـد .. حـزن محمـود وكتيبتـه حزنـا شـديا بهـذا الخبـر المشؤوم .. إلا إنه فوجئ فى اليوم التالى بسيادة اللواء يقرع باب منزله مرتديا جلباب قروى بلدى ويقوم بأداء التحيه العسكريه سائلا إياه .. هل تقبلنى جندى فى جيش جلبابك .. فأنا على يقين انه لن يطهر هذه البلاد إلا الجلباب البلدى ..

إصطياد .. طقم أسنان

كما أن الرياح لا تأتى دائما بمـــا تشـــتهيه الســـفن .. فالشـــهره والتميـــز لا تـــأتى أحيانـاً بمـا تهـواه الـنفس .. فـــــالبرغم مـــــن تفـــــوقى والإحتفـاظ بـأن أكـون اول دفعتـى علـى مـدى سـنتان بكلية الشرطه .. بالإضافه إلى إحتكارى بطولتى الرمايه والملاكمه على مستوى الكليه بالكامل .. لم يشفع ذلك كله فى توقيع جزاء حبسى بالكليه .. والحرمان من أجازة الأسبوع الخميس والجمعه .. نتيجة بعض الملاحيظ على ترتيب دولابى الخاص أثناء تفتيش مفاجئ .. وأظن .. أن أول ملحوظه تكمن فى حقد دفين لدى بعض قدامى طلبة السنه النهائيه الذين يهيمنون على الإشراف الكامل على الكليه قبل التخرج فى تقليد متوارث منذ الأزل ..

لم أغضب ولم أتظلم لهذا الجزاء .. بل كان محل ترحيب حيث كنت أتوق إلى هذه التجربه لأتطلع عن كثب عن أحوال الكليه فى إحتضانها قله قليله من غير الملتزمين .. وبالرغم مما وجدته من متعه إلا أننى آثرت عدم تكرارها مرة أخرى ..

كان حفل التخرج وفقرات عروضه العسكريه محل إعجاب وفخر الأهالى بإبنائهم .. كما كان ثناء كبار المدعوين على رأسهم السيد الرئيس محل مباهاه القائمين على الكليه .. وكان نصيبى وأسرتى وأصدقائى هو الأعظم حيث منحنى السيد الرئيس وسام خاص لأول الدفعه .. كما أهدانى شهادة تقدير مشموله بمكافأه ماليه لتفوقى فى الرمايه .. وقد دعوت الله وعاهدت النفس ألا يكون هذا الوسام هو الوحيد أو الأخير .. وأن تكون تلك المكافأه هى قطرة أول الغيث ..

عقب التخرج إلحقت بكتيبة القناصه .. ورغم حصولى على العديد من المكافآت وشهادات التقدير فى إنجاز كثير من المهمات المنوطه إلى .. إلا أن الرمايه وحدها لم تكن غاية طموحى .. فقد عكفت على إستكمال الدراسه وقد حصلت على درجة الماجيستير فى مجال مكافحة الإرهاب الدولى .. مما رشحنى للعمل بالوزاره

كمحاضر يلقى الضوء على تاريخ الإرهاب وتطوراته وأساليب محاصرته والقضاء عليه ..

رغم هيلمان الوزاره ورغم قدر كبير من الإحساس بالغبطه أن تحاضر صفوه من الرتب العليا .. ورغم العائد المادى والمعنوى وموفور الوقت اللازم للإطلاع تمهيدا لرسالة الدكتوراه .. إلا أنني كنت أشعر دوما بالحنين مره أخرى إلى أرض الميدان .. وإلى الرغبه فى تحقيق ذاتى التى تهوى التطبيقات العمليه والكر والفر بعيدا عن القاعات المكيفه والنظريات الأكاديميه التى أعلم إنه لا غنى عنها .. ولكن عمليات الإقتحام لها مذاق مختلف ونكهه خاصه ..

بعد مساعى تمت الإستجابه لتوسلاتى ومشاركتى فى بعض العمليات الخاصه وكذلك إسنادى بعض ملفات الإرهاب التى تخص الأمن القومى .. لتكتمل حلقات رسالة الدكتوراه .. الشق الأكاديمي .. وعنصر التخطيط بعد تجميع وتحليل المعلومات .. بالإضافه إلى عمليات الإقتحام الميدانيه ..

بعد رحلة من النجاحات .. أسند إلى ملف .. عملية إصطياد الفهد .. وكان هذا الفهد هو الإسم الحركى لأحد إرهابي التطرف

الدينى .. وقد عكفت على دراسة عملياته الإرهابيه المتلاحقه .. كما حرصت على تجميع أكبر قدر من المعلومات من مسقط رأسه تمهيدا للوصول لخط بيانى يعكس شخصية الرجل .. وقدراته .. ونقاط ضعفه .. ويوضح أسلوب تفكيره ونمط تصرفاته ..

رجل خجول .. ذو بنيه فولاذيه .. عصبى المزاج .. من السهل إستفزازه .. على قدر كبير من الذكاء .. غير متزوج نظرا لضيق ذات اليد .. يكمن تطرفه الدينى فى عمليات الجهاد .. ولا يعلم من أركان الدين سوى القشور .. ولا يدرى من تعاليمه سوى أحقيته فى سبايا الحروب فيما يطلق عليه ملك يمين .. وإن كان لا يهوى المكيفات إلا إنه يدمن السيجاره النعناعيه بما لا يتلائم مع بنيانه الحديدى ولا يتناسب مع ميوله الدمويه ..

بعد رحله قصيره من التتبع .. إستطعت الإيقاع به .. وتم ترحيله إلى السجن .. وظننت طى أوراق ملف عملية الفهد إلى الأبد .. إلا أننا فوجئنا بتهريبه عقب جلسه من جلسات المحكمه بعد وابل من طلقات الرصاص على عربة الترحيلات ..

بدأنا الرحله من جديد .. وقد طالت مدة الرحله إقتفاءا لأثر الفهد .. مع ظهور متغير جديد فى أسلوب ونمط سلوك الرجل .. وبدى

جليا سيطرة أحدهم عليه وأن هناك جهه إستخباريه تشرف على تحركاته .. وأصبحت ألاحق شبح لا أعلم عن فكره وأسلوب عمله شيئا .. ورغم توصلنا إلى مكان إختفائه أكثر من مره .. إلا إننا لم نتمكن من القبض إلا على بعض علب السجائر النعناعيه .. بعد نجاحه دائما من الهروب فى اللحظات الأخيره ..

أصبحت على يقين أن هناك جهه إستخباريه خلف الرجل .. وقد عكفت مرة أخرى على دراسة بعض المراجع الإستخباريه .. وبعد محاولات عده إستطعنا تحديد مكان الفهد .. ومع عملية الإقتحام فوجئنا بمقاومه شرسه .. مقاومه تفوق تعثر فتح حصن بابليون على أيادى قوات عمرو بن العاص إبان فتح مصر .. ومما صعب علينا المهمه .. أن الفهد كان مطلوب حيا للوقوف على كنوز معلوماته والجهات الإستخباريه التى تعضده وتقف خلفه .. وتقوم بتمويله وتدريبه ..

وعقب عملية الإقتحام وتبادل إطلاق النيران .. تتدرج الأمر إلى الإشتباك بالأيدي .. وتذكرت قوة الرجل الفولاذيه .. لذا حرصت على إستحضار حلبة الملاكمه التى أجيدها وتجنب إستدراكى إلى جولة مصارعه تفتك بى وتمنحنى لقب شهيد .. وبالفعل إستطعت الإطاحه بكامل أسنانه مع كسر أنفه .. ومع محاولة هروبه

إضطررت إلى إصابة قدمه بطلق نارى .. ليتم صيد الفهد بعد أن صار فهدا أعرج أهتم الأسنان ..

تم تسليم الأعرج إلى الجهات المختصه مع التوصيه بالحراسه المشدده وسرعة التحقيق .. لنعلم الجهات التى تدعمه وتوفر له التمويل وتقوم بالتدريبات اللازمه ..

المدهش فى الأمر أن يتم إعادة فتح ملف الفهد قبل إغلاقه .. فقد علمنا إنه قبل إنتصاف الليل .. قامت قوات بإقتحام المستشفى التى أودع فيها الأعرج وتم إختطافه .. وضاعت آثار إقتفاءه مرة أخرى ..

بعد حصولى على درجة الدكتوراه .. تفرغت تماما لعملية الفهد الأعرج .. وتوصلت إلى معلومات تهريبه وإخفاءه بجبل الحلال بأرض الفيروز .. وبعد محاولات عده والإسترشاد بالأبطال من بدو سيناء .. إستطعنا تحديد مخبأه أكثر من مره .. وللأسف كان دائم الهروب فى اللحظات الحاسمه ولم تتجاوز الحصيله إلا بعض الأسلحه والذخيره .. ومزيد من علب السجائر النعناعيه ..

إعتدت على الصبر والمثابره وسياسة النفس الطويل .. وواصلت المهمه .. وكنت على شفا التوصل إليه .. فأكاد أشتم رائحته

عندما إستطاع الهروب فى المره الأخيره .. فقد ترك خلفه إحدى ملك يمينه .. وعكازه .. وسجائره النعناعيه .. كما عثر على طقم أسنان لا بد إنه يخصه بعد عملية الإخلاء والتفريغ لجميع أسنانه بفضل لكماتى الخطافيه ..

تم التحفظ على مقتنيات المخبأ .. ودون لفت الأنظار. . تم التحفظ بشكل شخصى على طقم الأسنان .. فمما لا شك فيه .. توجه الأعرج إلى طبيب أسنان فى القريب العاجل لتركيب طقم أسنان بديل ..

تم التكتم على الأمر .. وتم الإستعانه بمفتش الصحه .. الذى رصد لنا جميع معامل التركيبات فى المنطقه والمناطق المحيطه .. وكان من اليسير تتبعهم فعددهم يقل عن أصابع اليدين العشر..

لم تطل فترة الإنتظار .. وقد توصلنا للطقم المنشود .. وعنوان الطبيب القائم على الأمر .. وقد تم تركيب كاميرا تليفزيونيه عن طريق بائع متجول تم زرعه بمواجهة عيادة الطبيب .. كما تم زرع

شريحه إلكترونيه داخل طقم الأسنان تسمح بتتبع الطقم لمدة ٤٨ ساعه ..

أخيراً توصلنا إلى سر هروب الأعرج فى اللحظات الأخيره .. فقد رصدت الكاميرا الفهد يتعكز على كتف أحد بدو سيناء الذى كان يقدم لنا يد العون للوصول إلى الفهد وغيره من الإرهابيين ..

وفى اليوم التالى تم إستدعاء بعض أفراد القوات الخاصه من القاهره فى زى مدنى .. وتم إعتذارى عن عملية إقتحام لأحد الأوكار يقودنا فيها البدوى العميل .. بحجة إنشغالى بصحبة الأصدقاء فى رحله سياحيه لمعالم سيناء ..

تم تجهيز قوتى الصغيره فى زيها المدنى الروش .. محملين بسلاح خفيف يختبئ فى الجرابنديه المعلقه على ظهر كل منا .. وتم إستئجار سياره من شركه سياحيه وتوجهنا فى بادئ الأمر إلى منطقة الشاطئ تحسبا لعيون البصاصين ثم إنحرفنا إلى منطقة الجبال وبدأنا تتبع الشريحه التى إنتهت بنا إلى إحدى الكهوف المكيفه .. والتى يحمل أثاثها صفة النجوم الخمس .. وفى غفله من الكاميرات المحيطه بالكهف .. تمت عملية الإقتحام فى رشاقه وسرعه متناهيه .. وكانت تعليماتى القضاء على الجميع والإصابه

فى مقتل وإنهاء عملية الفهد إلى الأبد .. وبالفعل تم التخلص من أربعة عشر شخصا بالإضافه إلى قتل الفهد الأعرج ..

تم التوجه بعد ذلك إلى الوكر المزعوم وتم القبض على البدوى الخائن خشية أن يفتك به أهالى قبيلته .. وتم شحنه مع جثث القتلى على طائره خاصه بصحبة فرقتى الصغيره بعد أن أنجزنا أحلى وأغلى الرحلات على أرض الفيروز الغاليه ...

لم يكن هناك صعوبه فى إستجواب الخائن بعد تصويره مع الفهد .. وبعد الإطاحه بممثلى إستخبارات بعض الدول والتحفظ على أجهزة كمبيوتر تحمل مخططات أكثر من دوله .. منهم دول للأسف صديقه .. كانت تهدف جميعها إلى عمليات تخريب وإغتيال ممنهج لقوات الجيش والشرطه وإخوة الوطن من قبط مصر المسيحيين ..

لم تصرح مصر بمقتل الخونه .. ولم تجرؤ دوله على السؤال أو الإشاره إلى إختفاء ممثليها على أرض الفيروز..

والمدهش .. مصافحتهم للسيد الرئيس أثناء مشاركتهم مؤتمر مكافحة الإرهاب .. فعلا .. إذا لم تستحى .. فإفعل ما شئت ..

كانت نجمة سيناء .. أغلى مكافآتى .. ومازلت أمنى النفس .. وأعاهد الله ألا تكون آخرها ..

وفى مقر جهاز الأمن القومى ..صاح السيد المدير .. أخيراً يتم غلق ملف عملية إصطياد الفهد ..

الحمد لله يافندم .. وإن كان لدى تحفظ على إسم العمليه .. فلا يجوز أن يمنح عميل .. خائن .. قاتل للأبرياء .. لقب فهد ..

السيد المدير مسترسلا .. ماذا تقترح ؟

لو تسحوا لى .. سيادتكم .. فلنطلق عليها عملية إصطياد الأعرج .. أو فلنطلق عليها عملية ..

إصطياد .. طقم أسنان .....

مراية بيتنا ..

مراية بيتنا عشره طويله ..
مراية بيتنا مرايه متينه ..
مراية بيتنا دايما صادقه ..
فى تجميل صورتى فالحه وشاطره ..
لا فى يوم جاملتنى ..
ولا يوم جرحتنى ..
مراية بيتنا مرايه فتيه ..
مرايه ترصد كل مافيه ..
مراية بيتنا مرايه صريحه ..
أحيانا قاسيه .. وقسوتها مريحه ..
مراية بيتنا ..
مراية بيتنا إتشرخت شرخ بسيط ..
شفنا حصار ٥٦ .. نصر سحيق ..
مراية بيتنا صابها وكسه ..
شفنا جرسة يونيو نكسه ..
مراية بيتنا هرمت وشاخت ..
حكايتها للأطفال قدمت وباخت ..

مراية بيتنا ..
مراية بيتنا خشبها متين ..
عمره مئات وآلاف السنين ..
إزاز مرايتنا غيرناه ..
ونصر اكتوبر جه وياه ..
مراية بيتنا شوهناها ..
بستاير نفاق ذوقناها ..
صورة مرايتنا بقت باهته ..
وشوشنا فيها ماهش واضحه ..
إزاز مرايتنا تانى بدلناه ..
جبنا إزاز يصوم ويصلى ..
ويقول الله ..
برواز مرايتنا لبسناه عمه وقفطان ..
وأدوها ودفنونا فى عصور زماان
إزاز مرايتنا تالت غيرناه ..
إزاز عسكرى .. صفا وإنتباه ..
صورة مرايتنا ملامحها خشنه ..
الناس منها خايفه وكشه ..
قلقاااان ..

قلقان .. وخايف من ثورة جيااع ..
وفى الآخر نقعد نتحسر ..
ونشوف مرايتنا بتعيط ..
ونلاقيها فى السوق ..
تتبااااع

من الجانى ؟ ....

بعد انتهائى من صلاة الظهر وتدبر الجزء الثالث من القرآن الكريم .. توجهت الى المطبخ فى مهمه رسميه .. مهمة معاونة زوجتى الطيبه فى اعداد الافطار .. حيث اننا ألفنا قضاء اول رمضان بالبيت الكبير .. وثانى الأيام ببيت زوجتى الكبير .. وهانحن نجتمع اليوم مع فلذتا كبدى على مائدة منزلنا العامر .. ورغم أميتى المتناهيه فى شئون الطهى والمطبخ إلا اننى أسطى فى السلاطات التى يشتهيها ادهم .. بكرى العائله .. وفنان فى عمل الخشاف الذى يعشقه خالد .. آخر عنقودنا الصغير .. لم تمضى سويعات إلا وحضر ادهم وتوجه مسرعا لتجديد وضوءه ليلحق بصلاة العصر فى المسجد الصغير الملحق بالعماره المواجهه للمنزل .. وغالبا مايكون هو المؤذن بإستثناء صلاة الظهر حال وجوده فى عمله بوزارة الشئون الإجتماعيه .... عاد ادهم بعد صلاة العصر وبدء فى ترتيل القرآن بصوته الرخيم الجميل ولم يتوقف إلا حين حضر خالد وتبادلا بعض الأحاديث .. دخل خالد يرافقه صخبه المعتاد ونوادره التى لا تنتهى .. وفوجئنا به بعد إنتهائه من التحمم يرتدى ثياب عمله مرة اخرى وقد افاد ان لديه مهمة عمل عقب الإفطار مباشرة .. قبل المغرب

بدقائق غادرنا ادهم الى المسجد .. وبعد كسر صيامنا اممت خالد وامه لصلاة المغرب .. ثم اجتمعنا جميعا على المائده ورغم قلة كلام ادهم انما لم يفوته الثناء على السلاطه وكذلك لم يخفى خالد إعجابه وإستمتاعه بمذاق الخشاف .. لم ينتظر خالد لتناول الشاى واضطر الى المغادره حيث ان سيارة البوكس التى تقله الى محل عمله بالقوات الخاصه ستكون فى إنتظاره .. لم يسهى عن خالد تجهيز بعض الطعام لسائق البوكس كما لم يفوته تقبيل جبينى ويد امه طالبا منها الدعاء .. وجاء دعائها المعتاد .. ربنا يصونك ويحرسك ويحافظ عليك ياخالد يابن بطنى .. .. بعد إحتساء شاى ضبط زوايا الدماغ .. وجدنا ادهم يصلى ركعتين بعد ان انتهى من الإستحمام .. وعند لفت نظره ان صلاة العشاء والتراويح لم يؤذن لها بعد .. افاد ان الركعتين بنية قضاء الحاجه حيث انه مرتبط بموعد عمل خاص بعد صلاة التراويح بمشاركه صديقه إسلام .. وانهما مدعوان لتناول السحور مع بعض الأصدقاء ولن يعود إلا بعد صلاة الفجر وربما بعد صلاة الجمعه .. ولم يفته قبل المغادره تقبيل جبينى ويد امه .. التى جاء دعائها .. ربنا يصونك ويحرسك ويحافظ عليك ياادهم يابن بطنى ... بعد بضع ساعات من النوم المتقطع وقبل موعد السحور إنتفضت من مضجعى على اثر مكالمه تليفونيه من مدير خالد فى العمل

يخطرنى بإصابة خالد ويطلب منى الحضور وان هناك سياره اسفل العماره فى إنتظارى .. اسرعت مرتديا المعطف على جلباب النوم والخف فى يدى ولم انتظر وصول المصعد .. وخلال ثوانى كنت مهرولا واثبا داخل السياره .. لم يفيدنى سائق السياره او الرتبه المرافقه له باى تفاصيل وكان الصمت الرهيب هو ملاذهما طوال الطريق .. تذكرت ادهم واستعنت بموبايل الرتبه للإتصال به حيث لم تتح هرولتى بإصطحاب تليفونى المحمول .. وللأسف جاء الإتصال دون جدوى .. فالجرس يرن دون ملبى .. وصلنا للمكان المنشود التى تحمل ملامحه اطلال دمار هيروشيما .. وآثار معركه التل الكبير .. استقبلنى كثير من الهامات الرفيعه والرتب العاليه وجميعهم يضمنى ويشد على يدى .. رغم يقينى بإجابة السؤال إلا اننى سألت .. هل مات .. مات .. مات خالد ؟ .. إحتضننى احدهم وقال لقد استشهد البطل .. بعد فترة من عدم الإتزان وجلوسى على مقعد لا ادرى من اين اتونى به .. عاودت الإتصال بادهم الذى مازال لا يلبى النداء .. بعد محاولات لاحظ احد الحضور تزامن جرس تليفون احد الضحايا مع محاولات الأتصال بادهم .. وبعد محاولات بالنهوض ولملمه اعضائى طلبت ان القى نظره اخيره على حبيبى ذو القلب الأبيض والضحكه الصافيه .. وبرفع الملائه التى تخفى تحتها جثمان

الشهيد .. وجدته على عناق بجثه اخرى .. جثه تعكس رنين موبايل ادهم .. لم ادرى كم من الوقت قد مضى .. ووجدتنى اسبح فى كم من المياه اثر محاولات افاقتى .. مازلت اكذب مابصرته عينى .. مازلت غير مصدق فقدانى لدماثة خلق عنقودى .. وصفاء ضحكة الآخر ..... وفى لحظه قفزت من مكانى حيث لمحت إسلام مسلسلا بالأغلال .. وتذكرت المسجد الصغير وصحت .. عليكم بمستنقع الأوهام .. عليكم بوكر الإرهاب ... بالفعل إنطلقنا وخلال دقائق كان المسجد الصغير المواجه لمنزلنا محاصرا وتم القبض على الجميع إلا شيخهم وإمامهم الذى تخلف لأول مره عن صلاة الفجر .. والغريب إنه بمداهمة منزله لم يعثروا إلا على بعض الخرائط والوريقات والتعليمات .. وقد إختفى الشيخ وأهله .. شأنه شأن جميع أئمة الإفك والمتاجرين بالدين ...

إقيمت جنازه عسكريه لخالد .. وامام إصرارى وتوسلاتى إنتهوا لضم ادهم إلى خالد فى صندوق واحد بشكل سرى على ان تخص جميع المراسم الشهيد خالد فقط دون الإشاره إلى ادهم .. مع حظر فتح التابوت إلا حين الوصول لمدافن العائله .. .. لم تحضر الأم الطبيبه مراسم الدفن .. فهى مازالت نزيله مستشفى الشـــرطه فاقـــدة النطـــق .. زائغـــة العينـــين .....

لم تبرد نارى إلا حين علمت إنها كانت المهمه الأولى لأدهم وان يداه لم تلطخا بالدم وان كلاهما لم ينبس سلاحه بطلقه واحده .. بـــل حـــاول كـــل منهمـــا إفتـــداء الآخـــر .. وضعت لافته رخاميه تحمل إسم خالد مسبوقه بلقب الشهيد .. حاولت إستخراج فتوى ازهريه تفيد برائة ادهم وتبارك شهادته وان الله وقاه قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق .. وإنه كان فريسة للذقن الإرهابي والفكر الوهابى .. لم تنجح محاولاتى رغم إستعانتى بجميع شيوخ مصر .. واخيرا افتانى احدهم .. وتوجهت إلى المدافن لألحق إسم المرحوم ادهم بلقب الشهيد .... كيف وصلنا لهذا المصير وكنت لكلاهما المربى والقدوه .. والناصح والدليل .. بل وانجبتهما بطن واحده .. ودعواتها لهما كانت متماثله ... بدات السؤال المحير .. من الجانى ؟ .. من المسئول عن هذا التباين بين الشقيقين ؟ من اوقع ولدى فى هذا الفخ ؟ .. هل هو .. ادهم الذى كان يرتل القرآن دون تدبره .. إسلام صاحب السوء الذى ساق ادهم إلى هذا المصير .. رجل الأوقاف الذى صرح بإقامة مسجد فى بير السلم .. ام هم الخونه من المتأسلمين الذين ينأون عن الشهاده ويلقون بخيرة الشباب إلى هذا المصير الواهم .. ام هى مسئولية الدوله التى ترعى ثعابين الكوبرا وتكتفى بمطاردة الأفاعى الصغيره .. ام انا الجانى .. الذى

لـــم انتبـــه لتغيـــر ميولاتـــه بعـــد صـــحبته لإســـلام .. لما لم ابادر بمصاحبته للمسجد للوقوف على مايبث من افكار .. لماذا لم استرسل معه فى الحديث والحوار .. كيف تركته فريسة لمتأسلمى هذا الزمان .....

قبل الحصول على إجابه شافيه لهذا السؤال .. وجدتنى اهاتف مدير الشهيد وابلغ عن الشيخ الذى افتانى بشهادة الشهيد .. غير مستبعدا ان يكون هو بطل قصة الهروب القادمه بعد توريط المزيد من الشباب المغيب .. وإنتهيت يقينا انه رغم تعدد الجناه إلا ان مثل هذا الشيخ سيظل هو .. الجانى الأعظم ....

محطة البنزين .. والمسجد الكبير ...

على اثر اشتباكات داميه بين جميع فتوات المدينه .. إستطاع المعلم النواوى أن يطيح بمنافسيه ومتحديه من الفتوات مستعينا بكل ماهو متاح من أسلحه قاتله وحارقه وأصبح الجميع يأتمرون بأمره ويتبعون تعليماته .. وفى ظل هذه المشاحنات إستطاع الداهيه يعقوب التسلل إلى منزل المهندس عرفه وقام بسرقة حجة البيت الذى يتوسط حى الخضره والطبيعه الخلابه .. وكان من اليسير على المعلم النواوى الإطاحه بالمهندس عرفه خارج الحى بعد الإستعانه بشهود الزور الذين أقسموا أن يعقوب قد ولد وعاش بهذا الدار ..

قام يعقوب بتجميل المنزل بعد ان ضم إليه أراضى كثيره مجاوره وصار يمثل منتجعا مميزا بين باقى الديار .. والحق يقال أن يعقوب إستطاع طمس معالم الحى بالكامل بعد أن طال التغيير كل الأركان .. عدا المسجد الذى يعد مزارا لكثير من مسلمى المدينه .. هذا ولم ينسى يعقوب وضع لافته كبيره على بوابات المنتجع تحمل إسمه مقرونا بإسم النواوى .. بدأ يعقوب التحرش بجميع الجيران وظل نفوذه يمتد إلى باقى أحياء المدينه .. معتمدا على دهائه ومرتكزا على الدعم الكامل

من الفتوه المعلم النواوى .. إصطدم طموح يعقوب برئيس أكبر حى شعبى والذى لجأ إليه المهندس عرفه ناشدا إعانته على عودته إلى منزله المسلوب بعد ان باءت كل محاولات اللجوء للقضاء بالفشل الذريع ..

بدا رئيس الحى الشعبى إعداد العده إستعدادا لمواجهه وشيكه مع يعقوب .. وفى غفلة من الزمن وغفوه من رئيس الخفر ومجموعه من الخفراء الذين يحرسون الحى الشعبى والذين كانوا منشغلين بجلسه أنس وسمر شد أنفاس .. إستطاع يعقوب الإنقضاض عليهم .. فقتل من قتل .. وفر من فر .. وأستولى يعقوب على جزء كبير من سياج الحى ..

عانى كثيرا أهالى الحى ورئيسه لإعداد العده من جديد إلا أن الزمان لم يمهل الرئيس .. فقد إنتقل إلى بارئه خلال سنوات قليله متأثرا بمرارة الإنكسار ..

تولى نائب رئيس الحى مقاليد الأمور .. هذا وقد ساد إرتياح كبير لدى يعقوب والنواوى لتولى سيد أبو الكوم أمور الحى . . حيث إنه لا يرقى لمثل هذا التشريف شكلا وموضوعا .. إلا أن الرجل إستطاع أن يلقن كل من يعقوب والنواوى درسا قاسيا بعد أن أوهم

الجميع إنه لا حول له ولا قوه .. وكاد أن يفتك تماما بيعقوب لولا هرولة النواوى لإنقاذ ابن أخيه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه .. إضطرا كل من النواوى ويعقوب إلى إبرام إتفاق سلام متضمنا إقتسام المنزل بين عرفه ويعقوب .. إلا ان عرفه تصرف بصبيانيه بلهاء ورفض بحماقه وسذاجه مفرطه فكرة مشاركة يعقوب ملكية المنزل .. وما كان منه إلا أن غضب وإنصرف ..

لجأ النواوى لحيله جديده .. وبادر بخلع الخواجه بهلول الذى يحكم المدينه المجاوره وقام بتسليم مقاليد الحكم الى الشيخ الحوينى شريطة ان يتم إتباع تعليماته وتنفيذها بكل دقه وكان باكورتها الخلاص من أبو الكوم .. وبالفعل تم إغتياله .. بدأ الحوينى فى إتباع سياسه مبتكره تعتمد على تجنيد العملاء .. حيث يتم إستقطاب الخونه من كل حى ويتم تمويلهم وتسليحهم بعد إغداق الأموال عليهم وزغللة عيونهم بإسناد السلطه إليهم .. وقد نجحت هذه السياسه إلى حد كبير وتم الإستيلاء على معظم الأحياء وكان شعارهم المتبع .. الذقون المشعسه .. وقد فطن أهالى الحى الشعبى لتلك المؤامره .. وشعر حى محطة البنزين بخطورة الموقف .. فهل يدرك أهالى حى المسجد الكبير ما يحاك حولهم من مؤامرات .. ام ينتظرون مشاركة الشيخ الحوينى أداء صلاة الجنازه على أرواح رؤسائهم فى .. المسجد الكبير ...

دودة القطن والصدقه جاريه ..

مع بزوغ فجر يوم من أيام الشتاء القارس .. تحمل نسماته رذاذ ندى الريف البارد .. مما يجعل مبارحة الفراش مهمه إنتحاريه تماثل هجر الرضيع لحضن أمه الذى يحتويه أو تخلى الجندى عن خندقه الذى يحميه .. وبينما كنت أغط فى نومى متصفحا أحلامى .. هدهد الهدهد على زجاج نافذة حجرتى وأطلقت العصافير شدوها من أعلى الأشجار التى تحوط دارنا ودوارنا وأطلق الكروان سيمفونيته المعهوده .. الملك لك لك لك .. ياصاحب الملك .. لم أجد بدا بعد هذه المظاهره الأوبراليه من نفض تثاوبى والخروج من شرنقة لحافى متوجها إلى باقى أهل الدار لإيقاظهم .. وجاءت دهشتى بالغه حين وجدتنى آخر المستيقظين .. بل وجدت ست الحبايب وأختى وإخوتى الأربعه وجميع الخدم مشغولين جميعا بتنظيف الدار وترتيبه وتنميقه .. وكانت حجرة المسافرين تحظى بالقدر الأوفر من الإهتمام .. تغيير الملايات وتلميع الزجاج وأرفف الدولاب وعمدان السرير وأركان الجدران .. كما تم إستبدال الناموسيه بأخرى جديده .. وكانت الخادمات مشغولات بتجهيز الفرن والكانون والعجين والطيور إستعدادا للحدث الكبير ..

الغريب عدم تواجد والدى فى هذا الوقت المبكر.. إلا أننى أدركت صوته فى البستان الملحق بالدار .. وإذ به يقوم بتصفيف شعر تيمور بنفسه بعد أن إنتهى السايس من غسل كل خصلاته بالماء والصابون ..

لم تمر سويعات إلا وطل علينا ضحى الصباح مع إطلالة دارنا فى ثوبها الجديد ..

إرتدى الجميع أحلى الثياب وأزهى الألوان ..

إنطلقنا مع والدى وإخوتى خارج الدار لنجد البلده بأكملها فى أهبة الإستعداد بالحناطير المزركشه والزينات المعلقه واللافتات المنمقه .. كانت أفنان الأشجار تتبختر يمينا ويسارا والطيور تصدر ألحانها العذبه الجميله .. حتى الماشيه كانت تحرث الأرض فى بهجه وسرور .. وكانت أسماك البساريا فى الريًاح تقفز من حين لآخر خارج المياه متطلعة الحدث الكبير .. مستطلعه قدوم .. إبن عم أبى .. بهجت باشا البتانونى .. والذى كانت كروت إسمه المتداوله بين دور البلده كفيله بالحد من نسب البطاله لشباب القريه .. أو إيجاد مكان بالقصر العينى لشيوخها وكهولها .. أو سرير بمستشفى الحميات لحاله مستعصيه .. وكانت هذه هى

الزياره الأولى للبلده بعد عودته من فرنسا وحصوله على شهادة الدكتوراه من السوربون وقد أنعم عليه الملك فؤاد الأول ملك مصر والسودان بدرجة الباشاويه ليصير أول باشا فى المديريه بأكملها .. ويحبو إسم قريتنا الصغيره نحو خريطة مصر وتخط لأول مره أحرفها ضمن السياج الجغرافى لخريطة المحروسه ..

إنطلق وفد الإستقبال إلى محطة القطار يتقدمهم والدى والبيه مأمور المركز والعمده وشيخ البلد .. وفى الصف التالى يصطف شباب القريه المتعلم بطرابيشهم الزاهيه وحللهم المكويه وقمصانهم المنشيه .. وبالطبع كنت وإخوتى فى المقدمه حيث نعد أصحاب الفرح ومحل إقامة العريس ..

أخيرا دق ناظرالمحطه الأجراس وأطلق القطار صفيره مؤذناً معلناً قدوم القطار ووصول العريس .. البتانونى باشا ..

لم أكن على درايه كامله بملامح عمى الباشا فقد مرت سنوات عضال منذ لقائى الوحيد وكنت مازلت طفل لين يستهل خطواته الأولى فى رحلة العمر ..

شق القطار طريقه إلى الرصيف فى تؤده وتمهل لتحتضنه رايات الترحاب من الجانبين ويطل علينا الباشا بشموخه وهيلمانه وبجواره زوجته الحسناء فرنسيه الجنسيه .. شقراء البهيه ..

دوت طلقات البارود فى السماء إبتهاجاً بإطلالة الباشا وزوجته .. إلا إنه بإشاره منه إلتزمت الصمت تماما.. لتحل محلها زغاريد الفلاحات التى تفوق الطلقات لحناً وأداءاً ..

كان أول ماإسترعى إنتباهى عدم تقيد عمى الباشا برباطة العنق .. وكذلك برنيطته الفرنجيه التى كان يلوح بها من نافذة القطار ..

بعد عناق أبى ومصافحته وزوجته على الصف الأمامى .. فوجئنا بتوجهم إلينا ليقوم وزوجته الشقراء بمصافحة جميع الطرابيش فردا فردا رغم صفوفنا الممتده وأعدادنا الوفيره .. لينتهى الموكب بالتلويح بالتحيه للأهالى المصطفين على رصيفى المحطه وجانبى الطريق قبل إعتلاء الحنطور المخصص لهم ..

كانت رحلة العوده إلى الدار رغم قصرها توحى بعودة بطل عظيم بعد فتح مبين .. وكان بريق عيون الأهالى يشع فخر ويعكس مباهاه لتبعية الباشا لهذه البلده .. وإن كان إحساسى ووالدى وأهل

الدار يفوق كل فخر ويضغى على أى فرح .. فنحن صحابته وأهل البيت ..

فوجئنا عند الوصول بمائده مستطيله ممتده بطول الشارع .. قد نصبها أعيان القريه .. إجتمعت عليها صوانى من جميع الدور تحوى الكثير من خيرات الله من المشمر والمحمر فى واقعه هى الأولى من نوعها .. حيث كانت الأعراف تقتصر على إرسال صينيه تشمل أشهى الأطعمه بشكل تناوبى بين الدور على مدار أربعين يوما فى حال وجود حالة وفاه أو دخلة عروسين .. ولكن لم تكن لتجتمع جميع هذه الصوانى إلا لعريس البلده .. عمى الباشا ..

توجه عمى إلى الدار لتحية أمى ونون النسوه من العائله .. وبينما هو يقوم بغسل يديه .. إذ به يلقى بالمنشفه فى عجله من أمره ويتوجه إلى البستان ملبيا النداء ليفوز تيمور بالقدر الأوفر من عناق وقبلات الباشا .. ولم يهدأ الفرس إلا بعد لعق وجنات محيا الباشا وبعد أن ألقمه عمى بعض مكعبات السكر كما إعتاد من قبل ..

إحتار عمى بين الوليمه الخارجيه ومأدبة أهل البيت .. وتدخلت حكمة والدى حيث إقترح أن نشارك أهل القريه فرحتهم .. وتقتصر السفره الداخليه على زوجة عمى ونون النسوه .. ورغم تحفظ شقراء العائله على هذا الإنفصال إلا أن عمى حسم الأمر واعداً إياها بعدم تكرار هذا الموقف ..

كم كان إعجابى بهذا الإختلاف الراقى والنقاش الرفيع .. وكم كانت فرحتى بإستيعابى لجميع المفردات الفرنسيه التى أصبحت أتقنها بعد إطلاعى على كم لا بأس به من الأدب الفرنسى .. فقد كنت مولع بأدب فيكتور هوجو و بلزاك و شاتوبريان ..

فوجئت فى الصباح بعمى الباشا يتخلى عن مظهره الأفرنجى .. محتفظا ببرنيطته ويرتدى جلبابه البلدى ويعتلى تيمور ليجوب به البلده .. ثم يتوجه إلى منطقة المقابر لزيارة والديه ويحرص على المزيد من الخضره فى سياج المدافن .. ثم توجه إلى الغيط ليتفحص الزراعات ويلقى التحيه على الماشيه والثمار والأشجار .. حتى خيال المآته الذى تبسم إبتهاجا بقدوم الباشا .. قد نال نصيبه من التحيه ..

ظل عمى لساعات يطمئن على محصول الذهب الأبيض ويتحرى عن مجهودات الفلاحين فى محاصرة ومكافحة الدودة التى كانت تهدد المحصول .. ومن ثم بورصة القطن التى كانت المحروسه صاحبة الكلمه العليا فى أسهمها .. وإنتهى به الأمر بإفتراش الأرض تحت شجرة الجميز محتسيا الشاى الفلاحى بعد مراعاة صبغه بنكهه فرنسيه بتخفيفه مع عدم إضافة سكر ..

مرت الأجازه القصيره سريعا ..وموفياً وعده كانت الشقراء الحسناء ترافقه فى كل الولائم وجميع المجالس .. وكان هذا من شروط قبوله لأى دعوه .. وكانت هذه هى السابقه الأولى لإجتماع الحريم والرجال على نفس السفره .. فقد كان سلو بلدنا حتى على مستوى أهل الدار عدم مشاركة الحريم لسفرة أو طبلية الذكور .. وكان الإستثناء الوحيد هو سحور ليالى الشهر الكريم ..

بالطبع كنت حريص كل الحرص على ملازمة الباشا وزوجته الحسناء بشكل دؤوب وكانت حواراتى معها بالفرنسيه ذات مذاق متميز ومتعة خاصه .. ورغم حسنها وأناقتها إلا أن بساطتها وتواضعها وثقافتها كان يضفى عليها المزيد من الحسن والبهاء والجمال ..

كان عمى يخصص ساعه كل يوم بعد شاى الخامسه ليبدأ إستقبال الأهالى فى الخامسه والنصف .. بعضهم جاء للتحيه وآخرون جاءوا طلبا لخدمه أو سؤالا لمشوره ..أو نصيحه للسيطرة على دودة القطن .. ورغم أننى لست الأكبر سنا إلا أننى بادرت طواعية بالقيام بأعمال السكرتاريه لعمى الباشا من تدوين البيانات والأسماء والطلبات .. والحقيقه أن هذا كان لمطمع شخصى .. فكنت حريص على الإنصات بشغف لحكمة ونصائح ومشورات عمى الباشا ..

مرت الأيام سريعا وحان موعد رحلة العوده ورغم عجلة الجميع لبدء زفة الموكب .. إلا أن عمى قد تغيب عننا قليلا متوجها إلى البستان منفردا بتيمور لبعض الوقت ومودعا إياه ببعض مكعبات السكر ..

أطلق القطار صفير المغادره مودعا أهل القريه خاطفا العريس من كوشة عرسه .. عاد كل إلى داره بعد أن إنفض الفرح .. وإسترجعت البلده رتابتها وصقيعها .. وعاد أهل الدار كل إلى شأنه .. وساد الصمت الجميع .. الماشيه والأشجار والطيور والأسماك .. ولم يكن هناك سوى عويل أبو قردان وتراتيل الكروان .. الملك لك لك لك .. ياصاحب الملك ..

رغم خدمات الباشا التى عمت البلده وطالت معظم عائلاتها .. إلا أننى كنت الفائز الأكبر .. فقد زودتنى هذه الزياره بوجبة سحور ثقافيه ولغويه تكفينى لصيام أعوام ..

عدت إلى دراستى بشهيه مفتوحه وإلتهمت كتبى .. وزاد تعمقى فى الأدب الفرنسى ..

وبعد حصولى على درجة البكالوريا بتفوق كبير مما يعفينى من خدمة الجهاديه .. إصطحبنى أبى إلى القاهره المحروسه قاصدين ڤيلا الباشا بحدائق الزيتون .. ناشدين مشورته لمجال العمل كما تم مع إخوتى من قبل .. ورغم ولهى لركوب أتوبيس أبو رجيله إلا أن أبى فضل التاكسى نظرا لما نحمله من زياره تضم الفطير والطيور والزبد والبيض وغيرها من خيرات الريف ..

جاء ترحاب عمى وزوجته غير عادى .. وفاق إنبهارى بالڤيلا ومقتنياتها الخيال .. فكل شئ فى المنزل يحكى الفرنسيه .. بدءاً بعمى وزوجته .. مرورا بالموبيليا والتحف والنجف والسجاد .. وإنتهاءاً بالسفرجى والبيانو .. لم يكن ينطق العربيه سواى وأبى والخدم .. حتى أننى أحسست لوهله حين توجهت للشرفه أننى ربما أرمق برج إيڤل أوألمح قوس نصر الشانزليزيه ..

بعد الإنتهاء من وليمة الغذاء وشاى الخامسه .. أثار أبى موضوع عملى بالمركز إسوة بإخوتى .. وإذ بالسيده الشقراء تلقى بقنبله هيدروجينيه .. إذ تقترح دخولى الجامعه وإستكمال دراستى بالمحروسه .. وقد تحمس عمى كثيرا لهذا الإقتراح ..

ظننت أن هذه هى المفاجئه الكبرى .. ولكن دوت مفاجئه تفوق كل توقع وكل خيال .. إذ إقترحت الحسناء وزوجها إستضافتى والإقامه معهم فى الڤيلا لحين إنتهاء سنوات الدراسه ..

إحتار أبى كثيرا .. فقد كان أبى حكيما عادلا لا يفرق أو يميز بين أبنائه .. لذا طلب مهله لمراجعة أهل الدار .. والحقيقه إنه كان يريد التمهيد لباقى الأبناء وإستئذانهم .. ومشاورة ست الحبايب ..

رغم مخاوفى من الإستفتاء .. إلا أننى كنت على يقين أن إقتراح الباشا لن يرد .. وأن الجميع سيرضخ فى النهايه لرغبة الباشا ..

بالفعل تم إنتدابى إلى ڤيلا الزيتون .. وتم تقدمى بأوراقى إلى مدرسة الطب لأبدء مرحله جديده من عمرى ..

مرحلة الولاده من جديد .. ولم تكن ولادتى سهله هينه .. بل كانت عملية قيصريه صعبه تجتز فيها كل التخلفات الموروثه والعادات المتخلفه مع تأصيل قيم وشهامة أهل الريف ..

رغم تفوقى فى دروس علم الطب .. إلا أن دروس عمى وزوجته كانت تفوق كل العلوم

.. فقد تعلمت ثقافات لا حصر لها .. بدءاً بثقافة الإتيكيت .. ومررا بثقافة الحياه التى تفرض عليك تنوع مجالات قرائاتك مع تذوق الفنون وممارسة الرياضه وقدسية العطلات الأسبوعيه التى غالبا ماتكون فرصه للتعرف على معالم مصر التاريخيه ومتنزهاتها الجميله أو متاحفها الثريه وقد هالنى كم المعلومات التى فى جعبة عمى وزوجته وكنت حريص على النهل منها قدر الإمكان .. وغالبا ماكان ينتهى يوم العطله بحضور مرسحيه أو حفل غنائى ..

ولم تستثنى الروحانيات من الطقوس اليوميه .. ورغم وجود بعض الحساسيات فى البدايه إلا إنها تحولت إلى متعه بالغه حين نتبادل الآراء ووجهات النظر حول الكتب السماويه .. فتارة أفند وأشرح لها بعض الآيات القرآنيه وتارة أخرى تقص على فلسفة المسيحيه

ومعجزات السيد المسيح عليه السلام .. ورغم تحفظات عمى على حواراتنا إلا أننى كنت على ثقه من إحترامها وتقديرها للدين الإسلامى كما فرضت على إحترامى لمسيحيتها الكاثوليكيه ..

مرت السنوات سريعا وزادت نسب إنتسابى إلى الزيتون .. بل أصبحت أشعر ببعض الغربه عند زياراتى للبلده وكان إحتفاء والداى وإخوتى وتيمور بى يأصل هذا الإحساس .. فقد صرت ضيفا فى دارى .. وأصبحت ڤيلا الزيتون هى عنوانى الدائم وعمى وزوجته هم أولياء الأمر .. ولم يكن لى إتخاذ أى قرار دون الرجوع إليهم .. حتى عطلاتى التى أقضيها بالبلده كانت تجدول بالتنسيق معهم حتى لا تتداخل مع رحلاتهم التى يحرصون على إصطحابى فيها .. فكانت هناك رحله صيفيه نقضيها برأس البر وأخرى شتويه نسافر فيها إلى أسوان حيث صفاء النيل والشمس المشرقه وأصالة التاريخ ..

كانت الدروس تتدفق إلى مع كل خطوه أخطوها مع عمى وزوجته اللذان لم يبخلا على بأى معلومه مع إحاطتى بكم من الإهتمام والحنان يفوق كل خيال .. فقد إتخذا منى إبناً لم يشئ الله رزقهم إياه .. فقد كانت الزوجه الشقراء يابسة عقيم .. ورغم المحاولات المتلاحقه من العائله مع الباشا .. إلا أنها قوبلت جميعها بالرفض

التام .. فقد كان عمى حاسما حازما فى موضوع الزواج من أخرى .. وكان زواجه زواج كاثوليكى لا رجعة فيه ولا سبيل لشريك آخر فى رحلة العمر ..

بعد تخرجى بات الأمر شائكا .. هل أعود إلى بلدتى وأسرتى القرويه أم أظل فى القاهره مع أسرتى ذات الطابع الفرنجى ..

تملك الحرج الجميع .. أبى الذى يخشى أن يمثل عائق فى طريق مستقبلى .. عمى الذى يتحرج الإحتفاظ بى بعد نهاية مهمة الدراسه .. مخاوفى من أن أكون عبأ على عمى وزوجته الجميله التى حسمت الأمر أخيرا .. إذ إقترحت العمل بالقاهره مع الإعداد للماچستير ومن بعدها الدكتوراه ..

رغم تخرجى وتفوقى إلا أن دروس عمى وزوجته لم تنتهى .. فأنا فى مدرسه مفتوحه لا تغلق أبوابها أبدا .. وآخر هذه الدروس حين هل علينا أحد فلاحى البلده ناشدا خدمه من عمى .. وقد صافحته من الوضع جالسا .. وإذ بعمى ينهض واقفا للترحيب به .. وبعد إنصرافه همس عمى فى أذنى بصوت خافت بكلمات تدوى فى قارات الدنيا الخمس .. إذ همس قائلا .. من تواضع لله رفعه ..

رغم قسوة الدرس إلا أن بلاغته شكلت جزء كبير من كيانى .. وقد وشمت داخلى تواضع يصبغنى بقمة الكبرياء ..

كانت زوجة عمى حنونه عطوفه .. يشمل عطفها الجميع .. خاصة وصيفتها المقربه .. الداده فريال التى كانت تصغرنى سنا ولكنها تكبرنى عمرا فى ڤيلا عمى ..

كانت الداده فريال هى العمود الفقرى للنظام فى الڤيلا .. ورغم نحافتها إلا إنها كانت تتمتع بشخصيه قويه وذكاء فطرى مع صفاء النفس ونقاء السريره مما جعلها تستحوز على إحترام الجميع وثقة أهل المنزل على رأسهم زوجة عمى الحنونه ..

مرت أسابيع وشهور وسنوات وصرت جزء لا يتجزأ من أهل البيت وبالرغم من أن شهادة ميلادى تحمل أسماء مغايره إلا أننى صرت أبناً أكثر من شرعى لوالدى الباشا وأمى الفرنسيه الشقراء .. وكثيرا ماكنت أحسد نفسى .. فلدى أبوين ونسختين من الأمومه .. إحداهما مصريه والأخرى فرنسيه .. ولى وجهان .. وجه شرقى ريفى .. وآخر يعكس الكثير من الثقافه الغربيه ..

رغم تبدل الأوضاع فى مصر وقرارت التأميم والإصلاح الزراعى وإلغاء الباشاويه بعد الثوره .. إلا أن الجميع ظل يلقب عمى

بالباشا ربما بحكم العاده أو ربما يرون فى شموخه وأخلاقه مايفوق أى ألقاب ..

رغم تأهلى ونجاحاتى المتتاليه .. إلا أن هذا لم يمنع توبيخى أحيانا .. حين عنفتنى أمى الفرنسيه ذات مره بسبب إهمالى لممارسة الرياضه اليوميه ولم يقنعها مبررات زيادة مشاغلى أو إنشغالى برسالة الدكتوراه ..

أصبحت أنا محور حياة أمى الفرنسيه والشغل الشاغل للباشا خاصة بعد إعتزاله العمل لبلوغه سن التقاعد .. ورغم ذلك لم يمانعا سفرى إلى باريس من أجل رسالة الدكتوراه .. بل قاما بجميع الأجراءات وحجز مكان للإقامه .. ولولا تردى حالة أمى الصحيه لقررت مرافقتى فى رحلتى الدراسيه .. ورغم تحفظاتى على فكرة السفر نظرا لإحتياجهم لى .. إلا أننى تلقيت توبيخ عنيف .. مفاده عدم التقيد بأى معوقات فى سبيل النجاح ورسالة بناء المستقبل ..

كان قرار السفر قرار قاسيا .. ومما ساعدنى وهون على إتخاذه وجود الداده فريال التى كانت ترعى أسرتى الجديده بتفانى وإخلاص خاصة بعد تغير الأوضاع بعد الثورة والإستغناء عن الكثير من

الخدم .. وكانت أمى تغدق عليها دائما وكان أبى الباشا يتنازل لها عن راتب معاشه بالكامل .. بل وقام بتحرير توكيل رسمى خاص يسمح لها بتقاضى المعاش بدل منه بشكل شهرى .. ولما لا وهى تسبقنى الأقدميه فى هذا المنزل .. وكان الباشا يعدها صدقه جاريه .. مفيدا إنه موفور الرزق وأن الأحياء أولى من الأموات بالصدقه الجاريه ..

بالفعل بعد أجازه قصيره ببلدتى لوداع الجهه الشرقيه .. وأجازه أقصر لتلقى النصائح والتوصيات من البر الغربى .. توجهت إلى مدينة النور .. مدينة الفنون والثقافه .. مدينة الجن والملائكه .. باريس عاصمة أوروبا ..

نظرا لإنبهارى وإعجابى الشديد بالشق العملى للثقافه والحضاره الفرنسيه .. وحيث أن تذوق الفاكهه يختلف كثيرا عن معاينتها فى التابلوهات مهما كانت براعة الرسومات وزهو الألوان .. فقد إضطررت إلى تأجيل الدراسه لمدة أسبوع كامل حتى أنهل من جمال الطبيعه وأتجرع عبق ذكريات ماقرأته فى الأدب الفرنسى من مقاهى وأماكن ومعالم ..

أسبوع كامل متنقلا بين برج إيفل وقصر فرساى .. بين كنيسة النوتردام وكنيسة السكركيرالمعلقه التى يشارك عرشها حى الفنون .. المون مارتر .. بين الأوبرا وميدانها الفسيح ومتحف اللوفر الذى يزينه الجناح المصرى الذى بحثت فيه طويلا على حجر رشيد أوحجر شامبليون الذى كان له السبق فى فك شفرة ألغازاللغه الهيروغلافيه المصريه القديمه .. ولكن علمت فيما بعد إنه محفوظ بمتحف عاصمة الضباب اللندنيه .. آه كم أنت مباحه أيها الآثار المصريه .. للأسف إنتهى الأسبوع ولم أتمكن من زيارة قصر الإليزيه وسجن الباستيل والكثير من المعالم الأخرى .. إلا أننى متحاملا على إجهادى كان لا بد قبل إنشغالى بالدراسه من التنزه قليلا حول المسله المصريه الشامخه التى يحتضنها ميدان الكونكورد البديع ..

مؤجلا الجوله السياحيه التى تحتاج إلى أسابيع وشهور .. كان لا بد من إتمام المهمه الدراسيه ..

تفرغت تماما إلى دراستى متحمسا مصرا على تعويض الإسبوع .. وبالفعل كنت أوصل الليل بالنهار من أجل إنهاء المهمه والعوده سريعا إلى نهر النيل بفرعيه دمياط ورشيد .. أعنى بلدتى وقيلا الزيتون ..

ورغم إنشغالى وسهر الليالى .. إلا أننى كنت حريص كل الحرص على مكاتبة فرعى النيل والإطمئنان على أحوالهم بإستمرار ..

وذات يوم تلقيت برقيه من أخى الأكبر مفادها إرجع فورا ..

معتذرا مستأذنا من هيئة إشراف الجامعه .. لملمت حالى .. وتوجهت إلى المطار تساورنى الظنون حول أسرتى الشرقيه .. ولكن بعد الوصول أدركت أن المصاب يخص الجانب الغربى .. فقد كانت أمى الفرنسيه فى حاله مرضيه حرجه .. إذ كانت تعانى من ثقب فى القلب .. ورغم آلامها إلا إنها كانت تبدو فى أحسن حال .. ربما تم إستشفائها أو ربما فرحا برؤيتى .. وأدركت فى اليوم التالى إنها لم تكن هذا أو ذاك .. بل كانت صحوة الموت .. إذ فجأه أطالت النظر إلى الباشا ثم رمقتنى بغمضة وداع ناعمه قبل أن تسدل الجفون الستار فى سكينه وهدوء ..

بكيتها كثيرا .. ودوى عويل فريال والحاضرين كل أرجاء القيلا .. ولكن أبى الباشا وقف شامخا مترحما عليها فى سكون .. وكأن الموت الغربى له ثقافه مختلفه ..

بعد ثالث يوم أصر أبى على عودتى إلى باريس لإستكمال المهمه وإتمام آخر أمانى أمى الغاليه ..

بالفعل عدت إلى مهمتى بعد أن أوصيت أبى وإخوانى بحفر وتركيب طلمبة مياه ببلدتى كصدقه جاريه على أمى الفرنسيه ..

فى مفاجئه غريبه كاتبنى أبى بعد عدة شهور يفيد أن هناك إقتراح من زوج أخت الداده فريال الذى يعمل بإحدى مكاتب المحاماه بفضل إحدى كروت الباشا .. بأن يتم قران الباشا بشكل صورى وسرى من الداده فريال .. حفاظا على الشكل الإجتماعى حيث إنها تعيش معه بمفردها .. وحفظا لراتب معاش الصدقه الجاريه بعد عمر طويل ..

رغم قلقى وتحفظاتى إلا أننى لم أجرؤ على إبداء الرأى .. فقط رجوته مراجعة محامى العائله وإتخاذ مايراه مناسبا ..

لم تمر شهور إلا وكاتبنى الباشا يوصينى سرعة إنهاء المهمه والعوده للوطن ..

بالفعل إتخذت قرار العوده فور حصولى على درجة الدكتوراه مع إنابة أحد الزملاء فى إنهاء الإجراءات مع الجامعه وتأجيل رحلتى السياحيه إلى أجل غير مسمى ..

بعد وصولى إلى أم الدنيا وفى طريقى إلى حدائق الزيتون التى توارت تماما خلف أنقاض الحى وتدهور الطرق .. تذكرت موكب الباشا بعد حصوله على الدكتوراه وأيقنت أن هناك متغير مخيف أصاب البلاد .. بل وطال معظم العباد ..

عند وصولى وجدت الڤيلا تكتظ بالكثير من أهالى بلدتى على رأسهم أبى وأمى وأختى وإخوتى الأربعه والعمده والمأمور .. ووجدت أبى يستلقى على السرير مستسلما للمرض فى شموخه المعتاد الذى لم يخدعنى هذه المره .. إحتضنى بقوه تناقض حالة ضعفه .. وأشار إلى محامى العائله الذى ناوله مظروف قام بدسه بين يداى .. وبصوت خافت سألنى عن الدكتوراه .. وكانت آخر كلماته مبروو ..

ضجت الڤيلا بالصراخ والعويل .. ووقفت شامخا مترحما على المرحوم الغالى ..

بعد الإنتهاء من مراسم الدفن فى موكب يليق بالباشا .. وبعد أجازه قصيره فى أحضان الكتله الشرقيه والإشراف على تركيب طلمبه أخرى .. صدقه جاريه على روح الباشا .. تم فتح المظروف بمعرفة المحامى وتواجد الجميع .. وإذ به يخصنى بڤيلا

الزيتون ومقتنياتها وعشة رأس البر وسيارته الكاديلاك .. وما دون ذلك من أراضى وعقارات وغيرها يوصى بتوزيعها على باقى الورثه طبقا للشرع ..

ضم المظروف ورقه أخرى تحمل توقيع فريال عبد الله صالح الحوت تفيد تنازلها عن أى حقوق شرعيه سوى راتب المعاش .. وقد ناولنا إياها المحامى سراً بمنأى عن الجمع ..

عدت إلى ڤيلا الزيتون وخصصت الحجره الملحقه بالجراج عياده مجانيه .. صدقه جاريه على روح كل من أمى وأبى .. مقرا بفضلهما .. فلولاهما ماكان الطب أو الثقافه أو السفر أو الدكتوراه .. رحمة الله عليهما رحمة واسعه ..

إختفت الداده فريال بعد عودتى .. ربما يكون من الحرج بقائها بعد مغادرة الباشا .. وبدأت أنا مهام عملى بالجامعه متسلحا بقدر كبير من العلم وبقدر أكبر من الثقافه وبقدر أعظم من التواضع والشموخ ..

لم تمر شهور إلا وظهرت الداده فريال مع أختها وزوجها المحامى .. وإذ بها تحمل رضيعا وتلقى بقنبله تفوق شظاها قنبلة هيروشيما

.. وتزيـد آثارهـا نظريـة الجاذبيـه الأرضـيه .. حيـث أفـادت أن الرضيع هو ثمرة الباشا ..

رغم هـول المفاجـأة ورغـم شـكوكى وإرتيـابى .. إلا أننـى تـذكرت أننى لم ألمس أو أعهد أى مراوغه أو كذب من الداده فريال من قبل .. بل كانت محل ثقة الباشا وزوجته على مدار العمر ..

عودة مره أخرى إلى محامى العائله الذى أفاد عدم شرعية الوصيه بوجود هذا المستجد .. حيث من حق فريال رفع قضيه تطعن فيها على الوصيه .. وذلك لظهور وريث جديد .. وإن كان قد أبدى شكوكه المتناهيه وإرتيابه الكامل حول الحدث برمته ..

ورغم هول المفاجأه .. إلا أننى على يقين أن لكل حدث حكمه لا يعلمها إلا الله سبحانه فربما أراد الله أن يوصل سلسال الباشا بعد مماتـه .. وشـاء الله أن أقوم بتربيـة ومراعـاة ولـده عرفانـا بمـا قدمـه لـى ورداً للجميل ..

كـان لا بـد مـن إنتقـال فـريال ووليـدها إلـى الڤيلا مصـطحبة أختهـا وزوجها منعا لحرج إقامتنا منفردين ..

تم تكليف محامى العائله بتحرى الأمر .. ومراجعة صحة الحمل ومكـان الـولاده وشـهادة المـيلاد .. وغيرهـا مـن المسـتندات والإستفسارات .. وكـان لا بـد مـن الإعـلان بـزواج الباشـا بعـد أن أثمرت هذه الزيجه عن ولد يحمل أسمه ..

رغم إنشغالى بعملى الجديد فى الجامعه وإنشغالى بالعياده المجانيه .. إلا أن إنشـغالى الأعظـم كـان مـوقفى مـن المولـود الجديـد مـن القبول أو الرفض .. فتارة أحنو عليه وأرى فيه إمتداد للباشا رحمة الله عليه .. وتارة أخرى أرى فيه خدعة ومؤامرة كبرى ..مرت أيام وأسـابيع وشـهور وأحتـار المحـامى فـى الأمـر .. فجميـع البيانـات والمستندات تشير إلـى صـحة الواقعـه .. وإن كـان لـم يسـلم يومـا بصحة النسب ..

فـى إحدى الليالى الشجيه .. ساقتنى أشواق الذكريات إلى مكتبة أمـى رحمـة الله عليهـا وبدأت أتفحص محتويـات رفوفهـا .. وأنهـل من كنوز الأدب الفرنسى وموسوعة فى وصف مصر التى أعدتها الحملـه الفرنسيه وتحـوى ٢٤ مجلـد .. وكانـت أمـى تتخـذ منهـا شرفه تطل منها على جميع الأمور الحياتيه فى أم الدنيا ..

جذب إنتباهى أكلسير أحمر يطل منه أجنده خضراء مدون عليها بالفرنسيه .. خاص جدا ..

مقلبا صفحاتها .. متصفحا وريقاتها .. أدركت كم كانت أمى مرهفة الإحساس .. رقيقة التعبير .. وكانت مذكراتها تعكس وتسجل أهم محطات حياتها وأصعب القرارات وأتعس اللحظات ..

تحدثت أمى عن لقائها الأول بوالدى الباشا وقرار الإرتباط بزوج مختلف الجنسيه متباين الديانه والتقاليد .. كما أسهبت فى مخاوفها من قرار الإنتقال من باريس الجن والملائكه والثقافه والفنون إلى قاهرة الأهرامات والمجتمع الذكورى .. ثم جاءت الفاجعه الكبرى .. حين لمحت دموع أمى تمزج وتنسج بعض الكلمات القاتمه الحزينه .. إذ وجدتها تنعى أمومتها وتبوح إنها تعيش أتعس لحظات الحياه بعد أن أيقنت عدم قدرتها على أن تصير أماً فى يوم من الأيام نظرا لوجود عيب فطرى خلقى لدى الباشا يستحيل معه الإنجاب .. فالعقم أزلى ولم تفلح معه أى تدخلات جراحيه أو غيرها .. والمدهش إحتفاظها بتقارير ومستندات من باريس وأكثر من عاصمه أوروبيه تفيد بأن حالة الباشا .. هوبلس كيس .. حاله ميئوس منها ..

بعد وجبه دسمه مستفيضه من الإطلاع على أسرار مذكرات أمى الجميله الرقيقه .. أدركت أن مشكلة الإنجاب كانت تخص والدى وأيقنت أن هناك مؤامره خسيسه تم حبكها بعنايه .. إلا أن عناية الله فوق الجميع .. ويمكرون ويمكر الله .. والله خير الماكرين ..

نافضاً عنى هول المفاجأه ومفنداً لشخوص ومستندات التآمر .. لم أقف كثيرا عند زيف شهادة الميلاد أومستندات مكتب الصحه .. فكل شئ بعد الثوره ومراكز القوى صار مباحا .. ولكن كانت دهشتى العظمى .. كيف تبدلت الداده فريال التى كان أبواى يحسنان إليها ويحنوان دائما عليها .. كيف جرؤت على رد الجميل بخدعه ومؤامره كبرى .. كيف تبدلت مصر والمصريين إلى هذا الحد .. كيف فاض طوفان الفساد ليغمر كل القيم والمبادئ والشيم .. كيف تبخرت قدسية المعلم وتدهورت معها منظومة التعليم .. كيف صار الطب والتطبيب سلعه تجاريه تفتقد لأى نواحى إنسانيه .. كيف خربت الذمم .. وإنهارت القيم .. وتوارت الهمم .. كيف هجرت الدوده ثمار القطن لتتسلل إلى ذمم البشر وتعشعش فى الضمائر .. كيف تكاثرت بهذا الزخم وكيف نسجت خيوطها جدائل خربه فى كثير من نفوس المصريين ..

تلاشت دهشتى سريعا حين قارنت بين إستقبالى الباهت وإستقبال الباشا بعد حصوله على الدكتوراه .. وبعد إدراكى توارى وإختفاء حدائق الزيتون خلف أطلال قمامه هذا الزمان ..

كان لا بد من حسم الموقف وتصحيح الأوضاع بشكل جذرى .. وفى جمع يضم قاطنى البيت ومحامى العائله .. ومدعم بعزوتى .. والدى وإخوتى الأربعه .. كان علينا التحقيق فى الأمر .. وطالبا المبادره .. كنت صاحب الكلمه الأولى التى إفتقدت لأى أبجديات .. بل كانت تحوى صفعه قويه على وجه فريال .. إنتفض الجميع على إثرها وحاول المحامى المدعى والمخطط الأول للمؤامره الإعتراض والإلتحام .. إلا أننى أشرت إليه بحده بإلتزام الهدوء والصمت التام .. مؤججاً بعزوتى .. ملوحا بالمستندات الفرنسيه الكفيله بإيداعهم جميعا سجن أبو زعبل .. مع شطبه نهائيا من النقابه وحرمانه من ممارسة المحاماه ..

لم تصمد فريال وأختها وزوجها طويلا بعد ترجمة ما لدى من تقارير .. وبعد عاصفه من الصراخ والبكاء إختلط فيها عويل فريال وأختها مع تشنجات الطفل الرضيع .. جاء دور محامى العائله الذى أصر على إبلاغ الشرطه وتسليمهم للعداله ..

تذكرت حنو الباشا وزوجته على فريال .. ومراعاتها لهما فى أيامهم الأخيره ..

ورغم وجود المحامى ووالدى ومن يكبرنى سنا من الإخوه .. إلا أننى كنت قائد الدفه وصاحب مذكرة فك الإشتباك .. وكان أولها مرجعية الطفل الذى إتضح تبعيته للأخت وزوجها المحامى النصاب .. وهذا ما فسر لى إقامة الأخت معنا .. وتشعبط الطفل بصدرها .. وقدرتها الفائقه على السيطره على نوبات بكائه ..

كانت الخطوه التاليه إعتراف مكتوب وموقع من فريال وزوج الأخت بأبعاد المؤامره ..

كما تم تحديد مهله ٤٨ ساعه للمحامى النصاب لتصحيح الأوضاع وإستخراج شهادة ميلاد أخرى بالنسب الحقيقى ..

مع أقرار من فريال عبد الله صالح الحوت يفيد تنازلها عن راتب المعاش لإحدى المبرات الخيريه الحكوميه .. حرصا على سريان صدقة الباشا الجاريه إلى من يستحقها ..

أخيرا كان لا بد من مساهمة الشيطان الأعظم فى صدقة الباشا الجاريه .. فتم تكليفه بقضايا جمعية أبناء البلده .. بالطبع دون مقابل ..

على إثر رؤيه لوالدى الباشا .. وجدته ممتعضاً مستاءاً .. هل إستيائه جاء لحجب صدقته الجاريه .. أم ربما لتصديقى ما تم نسبه إليه من إدعاءات ..

إحترت كثيرا فى هذه الرؤيه وتخوفت كثيرا من حجب صدقة والدى الباشا الجاريه ..

لذا تم إستدعاء الداده فريال وتم إسنادها الإشراف على العياده مقابل راتب مادى معقول ..

أشار على المحامى وبعض الإخوه إعادة راتب المعاش إليها إرضاءا للباشا وحفاظا على صدقته الجاريه .. إلا أن الرفض التام كان الجواب والعنوان ..

فقد كنت حريص كل الحرص على أن يظل راتب الباشا .. بعيدا عن أى شبهات وأن يعود إلى الحكومه صاحبة الحق فى إسترداده

بعد الوفاه .. كما كنت حريص على مكافحة دودة القطن قبل أن تلتهم المحصول وتفسده بالكامل ..

حاصرتني الحيره وتملكنى القلق من التفريط فى صدقة الباشا الجاريه .. ودعوت كثيرا أن يأتينى فى المنام مرة أخرى لعلى أتلمس مدى إرتياحه ومباركته لقراراتى ..

تبخرت مخاوفى وتبدد قلقى حين تفحصت هيئتى فى المرآه .. وأيقنت سريان الصدقه الجاريه حتما لا محاله .. فما أنا إلا صدقه جاريه تسير على الأرض .. حيث أننى أدين وتفوقى ونبوغى وثقافتى ووظيفتى وشهادة الدكتوراه إلى أبى الباشا وأمى الفرنسيه ..

إطمئنى ياأمى .. وأهنأ فى نومتك ياأبى .. فصدقتكم الجاريه ساريه مادمت حيا .. جاريه فى طلمبات المياه لغلابى الفلاحين .. فى العياده المجانيه بمنزلكم العامر على الدوام .. فى علومى وأبحاثى التى لا أبخل بها على أى تلميذ .. فى تطبيق دروسكم الغاليه وملاحقة الفساد والتصدى لأى دودة قطن تهدد المحصول أو تمس الأصول .. وأخيرا فى دعواتى لكما مع كل صلاه ..

رحمة الله عليكما رحمة واسعه .. وجزاكما الله خيرا .. وأدخلكما فسيح جناته ..

التوقيع .. إبنكم البار ..

أ.د .. صدقه جاريه.

يوسف وهبى حسن عبد الله .. كان إسمى هذا يغرد منفردا فى ذيل أى كشف يضم باقى الزملاء فى المدرسه نظرا للترتيب الأبجدى .. مما جعلنى أعيش فى الظل بعيدا عن الأسئله الصعبه المفاجئه .. وكان الإنصات إلى ماقبلى كفيل بإستيعابى اى درس ويسهل لى إجاباتى حين يحل دورى .. وكثيرا ماكان جرس إنتهاء الحصه يقف حائل دون الغرق .. إذ يلقى بطوق نجاتى بمجاديف رناته .. فيما يخص تسميع المحفوظات او الآيات القرآنية..

بدأت مرحلة المزاحمه على ذيل الكشف مع ارقام جلوس الثانويه العامه .. وكانت المره الأولى للقائى بيوسف وهبى حسن فتح الله .. والذى فوجئت به زميلا ملازما بكلية التجاره .. وأصبحنا باقه تتذيل اى كشف .. حتى كشوفات الرحلات والندوات الثقافيه .. الغريب فى الأمر مدى التطابق فى الهوايات والسلوكيات .. وكأننا توأم ضل أحدنا رحم أمه..

زاد التواصل بيننا وأصبح صديقى الصدوق .. وأصبحت الباقه لا تقتصر على ذيل الكشوفات .. بل صارت تضمنا فى قاعات

المدرجات والندوات وكراسى الكافتيريات ومقاعد الإمتحانات .. فكان رقم جلوسى يليه مباشرة .. وكان باقى الزملاء يطلقون عليه فتح نسبة إلى فتح الله وكان نصيبى من هذه القسمه الضيزى لقب العبد نسبة إلى عبد الله..

مرت سنوات الكليه سريعه متلاحقه .. شأنها شأن أيامك السعيده التى تهرول دون عجزك ملاحقتها أو إختزان بعضها.. ..

فى العام الدراسى الثالث زادت وزانت الباقه زهره بإنتساب إسم مؤنث سالم إليها .. حيث مالت أحاسيس الفتح إلى إحدى الزميلات الفاضلات .. وقد ضمت باقة صبار الفتح والعبد زهرة بنفسج جميله .. لتضفى مزيد من البهجه والسرور إلينا .. وصارت ندى هى عطر الباقه ونسيمها .. وكانت نعم الأخت .. وخير خطيبه إلى خير أخ لم تلده أمى..

بعد التخرج .. وقبل التوجه لأداء الواجب الوطنى .. حرص الفتح على ان تكون الخطبه رسميه .. وفى إحتفاليه بسيطه محدوده .. تبادل العروسان أجمل القيود .. وزانت الأصابع لمعه وبريق يستمد شعاعه من قلوب تشع حب وعشق وموده ووفاء..

كان من الطبيعى أن تنتقل باقة الصبار من الكليه إلى إدارة التجنيد .. وبعد إنتهائنا من الكشف الطبى .. تم تحويلنا إلى مركز التدريب بكسفريت .. وبعد إستلام المهمات والإنتهاء من فترة التدريب .. فوجئنا بتذيلنا كشف الموزعين إلى منطقة وسط سيناء..

بدأنا رحلتنا مع أول ضوء .. ومع إجتياز نفق الشهيد أحمد حمدى الذى يفصل قارتى أفريقيا وآسيا .. بدأت أشعر برهبه كبيره على أثر التحصينات والأحتياطات الأمنيه .. وزاد هذا الشعور بعد إجتيازنا لرأس سدر وأبو زنيمه .. لتغوص السياره فى منطقة سهول جبليه لا منتهى لها .. وعلى مدار ساعتين تشعر بأنك فى كوكب آخر .. ينتمى إلى زمان وعصر مغاير .. وبرغم مشقة الطريق .. إلا أن عيناى أبت أن تغمض خشية أن يفوتنى شئ من هذه الرحله الأستكشافيه .. فالجبال شاهقه .. والتضاريس فارهه .. والألوان متفاوته .. والوديان صعبة المنال .. وفى ظل كل هذا تفاجئ برقعه خضراء أو شجره تنمو بلا ماء .. سبحان الله .. لولا أيادى الإرهاب اللعينه .. لبلغت المتعه منتهاها .. بتمعن قدرة الخالق فى جباله التى أرساها...

مع إنتصاف النهار .. وصلنا ميناء نويبع الذى يفصلك عن الحدود السعوديه والأردنية أميال بسيطه .. بعدها أجتزنا رأس شيطان لنصل أخيرا إلى غايتنا بمدينة نويبع حيث يقع معسكرنا ومحل إقامتنا..

إستقبلنا قائد الكتيبه بكلمات ترحاب لم أعتاد عليها فى مركز التدريب .. كما نبهنا وأسهب فى التنبيه بضرورة الإلتزام بالتعليمات وتوخى الحذر حتى أثناء النوم .. فأنت دائما محاط بالأخطار التى لم ولن تعلم مصدرها .. فما يحيط بنا من جبال وكهوف تجعلك دائما فى أهبة الإستعداد .. وسلاحك لا يفارق يدك .....

أمر السيد القائد براحه حتى صباح الغد .. كما أمر بإعداد الطعام بعد تسكيننا فى الخيم المخصصه لنا .. وبالطبع كان العبد والفتح يظلهما خيمه واحده...

بعد ساعات نوم طويله لم تستوعب تنبيهات وتحذيرات القائد .. أيقظنى الفتح .. لنبدأ رحلة الحراسات والكمائن المتحركه والأبراج المترقبه التى ترصد أى تحركات غير مألوفه..

بعد الحصول على جرعة طويله من النوم العميق .. جرعه كافيه للملمة المفاصل بعد هذا المشوار الطويل .. غير كافيه بالمره لإستيعاب ما رأت العين من سلاسل الجبال الكثيفه الشاهقه .. والتضاريس الصلده المخيفه .. والكهوف والمغارات المحظور دخولها إلا بتأشيره خاصه جدا من عرب سيناء الذين يملكون وحدهم خرائط وأختام مملكة الجبال .... بدأنا عملنا أنا والفتح بنقطة تفتيش كمين نويبع شأننا شأن أى مستجد على المنطقه مبهورين بجمال صفاء البحر الذى تضمه أحضان جبال ثلاث دول .. مصر والسعوديه والأردن .. هذا بالإضافة إلى معبر طابا البرى الذى يفصلك بالكيان الإسرائيلى والذى يقع على بعد كيلوات معدوده من موقعنا...

بدأ إحساس الإنبهار يتضائل شيئا فشئ ليحل محله إحساس بالوحشه والرهبه .. فأنت فى مفترق طرق .. محاصرا بين جبال لا يعلم أسرارها سوى الله وبدو العرب وبين حدود ثلاث دول .. أحدهم دائم التربص بك .. ويود لو نحيد كثيرا .. أو نغفل قليلا .. والمدهش إنك بالإضافة إلى كل هذه المخاطر فأنت مطالب بتأمين السياح ومحطة الكهرباء الرئيسيه ووحدة المراقبه الدوليه وكذلك محبس الغاز العمومى الذى يتحكم فى المنطقه بأكملها .. هذا بالإضافة إلى ميناء نويبع الذى يعد الميناء الأساسى الذى

يربطك مع السعوديه والأردن .. أى إنك مطالب بعين ساهره لا تغفل .. تأمينا لطريق يبلغ حوالى ٦٠ كيلو ملغم بالأهداف الحيويه....

بعد فترة من التجانس مع المدينه والموقع .. أصبحنا أنا والفتح نتنقل من كمين إلى آخر على طول الطريق طبقا للأوامر .. ورغم حرص بعض الزملاء على التمركز فى مدينة نويبع الأكثر أمنا وأمانا .. إلا أن تنقلنا كان محل ترحاب .. فكما نملك عين حارسه .. نمتلك أيضا عين سائحه تبغى رصد كل ماهو جميل فى بلادنا الساحره ... فتارة نؤمن رأس شيطان التى تضاهى شواطئها أجمل الشواطئ العالميه .. وأخرى ننتقل إلى منطقة بساطه التى لا تقل جمالا وبهائا عن سابقتها .. وهانحن بمنطقة وادى فيورد الذى كان بطلا أصيلا فى كثير من الأفلام المتميزه .. أهمها إعدام ميت .. وفتاه من إسرائيل .. والباشا تلميذ .. وغيرهم الكثير ... وسبحان الله .. إذ يعجزك جمال هذا التابلوه الذى أبدع الخالق فى نسج خيوطه وصبغ ألوانه .. أن تظل محتفظا بجنديتك .. فأنت لا تملك إلا أن تغمض العين الحارسه .. وتوقظ عينان يشتهان الجمال ويسبحان بإبداع الله فيما خلق وسوى...

كم كانت فرحتنا كبيره حين اسندت إلينا مهمة تأمين قلعة صلاح الدين التى تقبع فى جزيره فرعون التى لا تضم سواها .. والتى لا تستغرق رحلتنا البحريه للوصول إليها سوى عشرون دقيقه .. عشرون دقيقه فقط تفصلك عن ثمان قرون ونيف .. ويرجع تاريخ تشييد هذه الجزيره التى إتخذ منها أمير الكرك محطه لمهاجمة الحجاج المسلمين فى إحدى الحملات الصليبيه على البلاد .. مما إضطر الملك العادل إلى إرسال جيوشه لدحض قوات الكرك وتم تتبع اميرهم وتعليق رأسه على باب زويله .. كما تم تتبع اهم قواده وعلقت رؤوسهم فى اهم ميادين مكه والمدينه .. وحين آل الأمر إلى أخو العادل يوسف الذى عرف بإسم صلاح الدين .. حرص على تشييد قلعة صلاح الدين لتكون حصن دفاع لردأ أى عدوان خارجى .. وحرص أن تضم القلعه ثكنات معيشه للجنود .. وصوامع لتخزين الغلال .. وخزان للمياه .. ومسجد وحمام .. ومخازن للذخيره والسلاح .. وذلك كله تحسبا لتعرض القلعه لأى حصار طويل الأمد .. كما حوت القلعه مكتب بريد ممثلا فى أبراج للحمام الزاجل...

ما هالنى وأحزننى شديد الحزن .. حين لفت إنتباهى الفتح إلى جدار آل للسقوط .. وقد تتدخل أحد مقاولي زمن الغبره بتمحيره .. ليقوم مع سبق الإصرار والترصد بإنفاذ جرح غائر فى تاريخ

عظمة الأجداد .. ويكون خير شاهد على ضآلة الأحفاد .. وتدنى الثقافه والذوقيات...

وفى مواجهه كنت أخشاها .. كلفنا بتأمين كمين منفذ طابا الذى يفصلنا عن الكيان الإسرائيلى أمتار معدوده .. والغريب صغر مدينة طابا التى كثيرا ماكانت محل حديث الساسه فى القارات الخمس .. فهى لا تضم سوى بعض الأبنية ومكتب مصر للطيران وصيدليه .. ولا نغفل مبنى العاصمه الممثل فى فندقها الشهير الذى شيده الإخوه الأعداء والذى إستطاعت مصر إسترداده بعد اللجوء إلى التحكيم الدولى .. ورغم صغر مساحته نسبيا .. إلا أن موقعه الفريد .. يجعل منه قاره بأكملها .. فهو على راس مثلث فاحص للكيان .. راصد للساحل الأردنى .. كاشف للحدود السعوديه .. فنار لخليج العقبه .. .. الأغرب فى الأمر هو أعداد السيارات والدراجات التى تطل علينا بشكل يومى من المعبر لقضاء يومهم فى متنزهاتنا الجميله والعوده فى نهائيات اليوم ... والمدهش الترحيب بهم .. وتقديم التسهيلات والعون لهم .... بل وتخصيص قوات لتأمينهم..

رغم جمال منطقة طابا .. إلا اننى تمنيت عدم تكرار التجربه خشية تقمص روح سليمان خاطر الذى افرغ سلاحه فى بعض

المتنزهين الغير مرغوب فيهم .. الذين يلوثون مياهنا .. ويدنسون طرقنا .. ويستفذون جنودنا .. .. فما زال طريق السلام بعيدا .. ومازالت اشواك ضغينه النفس تفوق كثيرا الأسلاك الشائكه التى تفصل بين الحدود .. فنحن على يقين إنهم خلف مؤامرات الإرهاب التى تتربص بالبلاد .. وخلف تمويل وتدريب رجالات حماس المنشقين وأتباعهم من الخونه المتأسلمين....

مرت الأيام دواليه .. لا يعكر صفوها شئ إلا محاولة أحدهم المرور بشكل همجى شاهرا كارنيه يحمل صورة بدله عسكريه .. ولولا أن ألقينا بالمتاريس أمامه لما توقف .. وإتضح بعد ذلك أنه رجل شرطه فى عجله من أمره .. وقد تم سحب الكارنيه ولم يتم تسليمه إياه إلا بعد إتصال قائد الكمين بإدارة وحدته .. التى وعدت بتلقينه عقاب رادع ...

لم تمر أيام إلا وتم التحفظ على سياره تحمل بعض المفرقعات .. وإتضح فيما بعد إنها مناوره من القياده لإستنفار القوات .. وقد أعتدنا أن يقوم أحدنا بالتفتيش ويقوم الآخر بتأمينه .. فأنا لا أجد خير من الفتح يؤمننى .. وليس للفتح عبد سواى يقوم بتحصينه.. كان هذا محل تقدير وإشاده مصحوبه بمكافأه مجزيه .. كما كان محل تكدير وعقاب لما سبقونا من كمائن .. وحيث أن للشهره

ضـــريبه .. فقـــد جـــاءت الضـــريبه أســـرع ممـــا تصـــورنا ... ففـى ليلـه سـادها الظـلام والإرهـاب الأسـود .. شـق دوى طلقـات الرصـاص حـائط الصـمت والهـدوء .. وعكـرت أدخنـة الانفجـارات صـفاء السـماء .. فقد تم إقتحـام كمين سـانت كـاترين وتـم إغتيـال معظم قواته....

صـدر قـرار إنتقـال قـوة كميننـا المشـهود لهـا بالكفـاءه إلـى سـانت كـاترين .. لنقـوم بتـأمين الـدير ورهبانـه وزواره ومجازيبـه ومئـات السياح الذين يرتادونـه بصفه يوميه .. إمتثلنا فورا للأمر .. شأننا شـــأن أى جنـــدى يعلـــم أبجـــديات اللغـــه العســـكريه .. عقب وصولنا سانت كاترين .. كان جميع الزملاء فى إنتظارنا أو هكذا توهمنا .. فقد كانوا جميعا بصدد الإنتهاء من عزاء جماعى يخص شهداء الأمس..

إستقبلنا رجل فى نهائيات العقد الثالث من العمر .. طويل القامه .. عريض المنكبين .. ورغم مرارة الحزن التى تلمحها فى عينيه حاول ان يستقبلنا ببشاشه ورباطة جأش .. قام الشاويش عارف .. العارف بالمنطقه وبواطن الأمور بشرح تفصيلى لطبيعة المنطقه والمهـام المنـوط لنـا القيـام بهـا .. كمـا قـام بـالرد علـى جميـع إستفسارتنا..

تنوعت المهام بين تأمين الطريق ومقامى هارون وصالح عليهما السلام اللذان يقعان خلف الطريق .. وبين تأمين الدير .. والمهمه الصعبه .. والشبه مستحيله .. هى تأمين جبل موسى عليه السلام .. وتأمين الآلاف من الحجاج اليهود الذين يصعدون الجبل للتبرك بالمكان الذى كلم الله سبحانه عبده ورسوله موسى .. هذا بالإضافة الى عبدة الشمس من الهند وشرق آسيا الذين يحرصون على تسلق الجبل ليلا .. والتبرك بشروق الشمس فوق قمة الجبل .. ثم الهبوط بعد أداء الصلاه .. لينتهى يومهم بزيارة دير سانت كاترين...

تم تكليفنا كمستجدين على المكان بتأمين الطريق ... مع حرصنا على زيادة المتاريس .. وان يخلف الكمين .. كمين آخر غير مرئى .. كما تم الإستعانه بكلاب بوليسيه تسهم فى إستكشاف المفرقعات...

بعد مرور أسابيع .. أسند إلينا الشاويش عارف مهمة المراقبه من النقطه الأولى بالجبل والتى تتطلب تسلق مسافة ٣٥٠٠ متر فى طريق شبه مستوى يعلم دهاليزه جيدا بدو سيناء الذين يتخذون من صحبة السياح والزوار فى تسلق الجبال مصدر رزق لهم وللإبل التى تعتبر وسيلة المواصلات الوحيده عبر دروب وتضاريس

الجبال .. وهى بلا منافس .. سفينة الصحراء التى تستطيع الإبحار فى دوامات الجبال الشاهقه .. وملاطمة أمواج تضاريسها المرعبه..

كانت نقطة المراقبه الأساسيه أعلى قمة الجبل يستأثر بها مجموعة من الجنود على رأسهم الشاويش عارف .. حيث إنها مهمه خاصه جدا تتطلب قدر كبير من اللياقه البدنيه لصعود حوالى سبعة كيلوات تنتهى بصعود درج رأسى يضم ٧٥٠ درجه .. وبعدها تبدأ مهمة عملك فى المراقبه ورصد أى شئ غير عادى أو تحرك غير مألوف .. هذا بالإضافة إلى تتبع السياح وتأمينهم..

بعد محاولات .. إستجاب الشاويش عارف إلى توسلاتى ليصحبنى معه فى هذه الرحله الشاقه .. وبالفعل هى شاااقه جدا .. ولكنها تجربه لا بأس بها .. وقد ظننت أننى سوف أحظى بما لم تراه عين أو يستوعبه عقل ... ولكن ذهب كل هذا هباءا .. فلا شروق مميز للشمس .. ولا مناظر غير طبيعيه .. فهى مجرد جبال تراها من أى زاويه ومن أى إرتفاع..

مع تجاذب أطراف الحديث مع الشاويش عارف عن قبر هارون عليه السلام ومعلوماتى انه مات ودفن بجبل هور بالأردن .. الذى أطلق عليه فيما بعد جبل هارون .. أفادنى الشاويش عارف بحكمة الزمان .. أن البدو أقاموا له مقام أسفل الجبل .. جذبا للسياح كما إنهم أشاعوا الشروق المميز للشمس من قمة الجبل سعيا لحث السياح على تسلق الجبل الذى يدر أموال طائله عليهم .. ويكفيك أن تعلم أن الحد الأدنى لتكلفة صعود الجمل وهبوطه خمسمائة جنيه للمصريين .. فما أدراك بالسياح الأجانب .. كما أقاموا مقام للنبى صالح عليه السلام .. وأشاعوا أن ناقته منحوته على صخور الجبل .. .. وأشار إلى النظر إلى ما حولنا من تضاريس .. فمن الممكن أن نستنبط أى رسومات أو شخوص تراها المخيله .. وكانت هذه اللعبه هى إحدى هواياتنا فى ساعات النهار الملوله...

بعد الهبوط زاد تقديرى للشاويش ورجاله الأبطال .. فأنت تحتاج لأيام وليالى لتبرأ من تبعيات جوله واحده بهذا الجبل الذى يتدلى منه السحاب .. فما بالك من رجال يقع محل عملهم على إرتفاع ٧٠٠٠ متر فى طريق صخرى غير مستوى وغير ممهد....

جاء دورنا أخيرا فى تأمين دير سانت كاترين الذى شيد بعد رؤية لأحد الرهبان بوجود جثمان القديسه كاترين أعلى الجبل .. وبالفعل يعثر على ذراعها على قمة الجبل .. ويتم الإحتفاظ به داخل صندوق مزركش فى إحدى أركان الكنيسه التى شيدت داخل الدير الذى يقوم على خدمته مجموعه من الرهبان اليونايين .. كما يحوى الدير فى أحد أركانه بئر موسى المعطل .. وعلى الجهه الأخرى توجد العليقه محتفظه بخضارها منذ قرون طويله .. كما يوجد متحف فى الطابق العلوى يضم بعض المقتنيات ويحوى وثيقه تحمل توصية الخليفه عمر بن الخطاب بأقباط مصر .. وعليه تم تشييد مسجد الفتح داخل الدير دون المساس بالكنيسه أو الدير وكان ذلك فى عهد عمرو بن العاص .. وكانت هذه هى المره الأولى التى تقبع فيها كنيسه مسيحيه فى أحضان مسجد إسلامى قبل أن يتكرر الأمر فى بلاد الأندلس بعد سنوات طويله..

حرصنا على الصلاه فى بهو يفصل بين مسجد الفتح والكنيسه وذلك لغلق المسجد لأسباب لا يعلمها الشاويش عارف .. ومن باب الفكاهه أشرت إلى الفتح أن المسجد قد سمى بإسمه .. وردا على الفكاهه أشار صديقى أن حلوانى العبد قد أقتبس إسمه من حلاوتى...

ما زلنا أنا والفتح نستمتع بأوقاتنا رغم المخاطر .. أو ربما صحبتنا هى التى تضفى علينا الإحساس بالطمأنينة والراحه النفسيه التى تهون علينا أى أهوال .. وتبدد أى هموم .. وتفند أى مشاكل....

بعد حوالى شهرين من الخدمه فى سانت كاترين .. وبعد ألفتنا للمكان والجبال والجمال والمقام والدير .. صدر أمر بإنتقالنا إلى شمال سيناء .. وإمتثالا للأمر .. تحركنا لنودع سواحل البحر الأحمر .. لنصل إلى أقصى سواحلنا على البحر المتوسط .. العريش ورفح .. والمدهش أن تتزايد الأخطار فى جوار الشقيقه الصغرى فلسطين التى دفعت أجيال متتاليه من خيرة شبابنا ثمنا باهظا من أجل إسترداد الأرض وصون العرض .. وللخدمه فى هذه المنطقه شكل مختلف .. فإنه محظور عليك إرتداء الزى العسكرى خارج المعسكر .. حتى الكمائن نتوجه إليها بالملابس المدنيه ونقوم بإستبدال ثيابنا فى موقع الكمين .. كما إنك غير مطالب بصغائر العسكريه من حلاقة شعر او نعومة ذقن .. بل عليك دائما أن تتخفى فى هيئه مدنيه...

وإن كانت القاعده القانونيه .. أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته .. فالأمر يختلف هنا .. فالجميع متهم ومشتبه فيه حتى لو ثبت العكس..

بدأت نفسية الفتح تتراجع وتتقهقر يوما بعد يوم .. فغالبا ما نستهل طابور الصباح بدقيقه حداد .. فزميل الأمس هو شهيد اليوم .. وونيس اليوم ربما يكون فقيد الغد .. وأنت حريص دائما على الطهاره والنطق بالشهاده حتى مع سماع إنفجار إطار سياره أو دوى شكمان عربة نقل .. ورغم أن المدن هنا تعج بأعداد متزايده من بنى الوطن .. إلا أن طبيعة المنطقه ولوغاريتمات ألغازها التى لا يعلم شفرتها إلا بدو سيناء تشعرك برهبه وغربه موحشه....

وحيث أن الحاجه أم الأختراع .. فقد جاء الحرص على الحياه أبو الإقتراح .. فقد إقترحت على قائد الكتيبه أن يضم كل كمين أحد المجندين من قبائل البدو .. وكذلك الإسترشاد بأحد شيوخ البدو حين مداهمة أحد أوكار الشيطان وعبدة المال وخونة الوطن والعروبه..

بدأ الفتح السعى إلى النقل مستندا على سفر أخوه الوحيد للعمل بالسعوديه ويصبح وجوده حتمى لمراعاة الوالدين .. وبالطبع مجاورة الحبيبه ندى التى كانت دائمة السعى لإنتقاله .. فهى فى حاجه ماسه لمجهوداته وإرشاداته لتشطيب شقة الزوجيه..

نجح الفتح أخيراً وتم إستصدار قرار نقله إلى القاهره .. ولأول مره منذ سنوات يتذيل إسمه كشف دون أن يستظل بإسمى فى نهاية القائمه .. ودعنا الفتح واعدا بالسعى لإستصدار قرار آخر بإسمى .. ولما لا .. فأخى الوحيد يعمل بالغردقه التى يفصلها عن السعوديه بعض الأميال ...

بعد فراق صديقى العزيز بدأت مرحلة تجنيدى الحقيقى .. فقد أصبحت عبدا موحشا وحيدا .. يالله .. كيف كانت صحبة يوسف تملأ كل هذه الفراغات من الصحراء وتطول هذه الإرتفاعات من الجبال...

بدت الأيام موحشه قاسيه .. كمين هنا ومداهمه هناك .. هذا وقد إستراديت إسمى .. يوسف بعد غياب الفتح .. وإن كان بعضهم ينادينى .. يالا الهول .. نسبة إلى فنان الشعب .. يوسف بك وهبى..

لم تنقطع الإتصالات بينى وبين الفتح يوما .. فى الساعات القليله التى تتوافر فيها شبكة إتصال .. وقد طلب منى بعض الأوراق سعيا للنقل .. أما أوراق محل عمل أخى فقد تكفل هو بها ... بعد تجهيز الأوراق .. كانت المره الأولى التى ألح فيها طلبا

للأجازه .. وقد أثمر الإلحاح عن منحى ٧٢ ساعه .. أجازه قصيره ولكنها كافيه للإطمئنان على الأهل والأصدقاء والأحبه .. وكذلك رؤية صديقى العزيز وتسليمه الأوراق المطلوبه..

بعد رحله طويله .. غير شاقه .. فأنت على موعد للقاء الأحبه .. وقد تعلمت إغماض عيناى طوال الرحله إستثمارا للوقت وحرصا على عدم إنتقاص فترة الأجازه ببعض ساعات النوم..

بعد الوصول إلى قاهرة المعز .. وبعد نزهه طويله إلى أحضان أمى الدافئه وقبلات أبى الحنون .. وإفطار شهى أعدته ست الحبايب .. ودش دافئ يحويه أربعة جدران بعيد عن مياه الصحراء البارده .. توجهت إلى منزل الفتح صديق العمر .. مسلحاً بجميع الأوراق والأختام المطلوبه .. بعد جرعه أخرى من الأحضان والقبلات الحاره من والدى توأمى .. وبعد لهط ربع صنية كنافه بالكريمه أعدت خصيصا لتكون فى شرف إستقبالى .. جلسنا فى إنتظار صديقى العزيز الذى إنصرف قبل دقائق من مجيئى فى مهمة توصيل حبيبته ندى إلى محل عملها .. ورغم أن المشوار لا يستغرق سوى عشرون دقيقه .. إلا أن الإنتظار طال بعض الشئ..

وأثناء حوار دافئ يسوده الود ويتخلله كثير من الأدعيه .. نفاجئ جميعا بمكالمه تليفونيه تحمل عويل وصراخ .. وجلبه وصياح .. .. وبعد محاولات مضنيه تفهمنا من أحد المحيطين .. أنه على أثر مشاده ساذجه .. وإشتباك تافه بين يوسف وأحد ممثلى العداله .. قام السيد رئيس النيابه الموتور بتوجيه طلقات عشوائيه من سلاحه المرخص جدا لتستقر بصدر المواطن الجندى المجند .. يوسف وهبى حسن فتح الله .. لترتاده قتيلا وتعلن عن تشعب العشوائيات فى بلدنا الغالى لتطول أسمى المنابر .. فنار القضاء الشامخ...

إنشغلنا جميعا .. بجثمان البطل الصديق الأخ العزيز الطيب البشوش الشهم الكريم .. ورغم لوعة الأم .. وآلام الأب .. وشرود الحبيبه .. إلا أن مصابى كان أكبر وأعظم فقد فقدت صديق لا يعوض ووفاء لا مثيل له...

تذكرت عشرات المرات التى حكت غيوم الموت فيها أجسادنا .. وتجولت أطيافه حول أرواحنا .. أصررت على إحتضان علم مصر الغالى لجثمانه الطاهر .. فهو شهيد أمهله الله بعض الأيام لطفا بوالديه وأحبائه .. وإن كان القدر حرمنى لحظات الوداع .. فكم كنت اتوق شوقا لرؤياه..

إنشـغل جمـع المعـزيين بكيفيـة القصـاص وموقـف القضـاء .. وإنشغلت أنا بحكمة الله أن تأتى النهايه على أهون الأسباب رغم ما تعرضنا لـه من مخاطر وأهوال .. وإستوقفتنى آيات الذكر الحكيم .. إذ يقول تعالى .. وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. ويقول سبحانه .. أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيده ... صدق الله العظيم..

تذكرت سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضى الله عنه الذى خاض مئات الحروب .. وقاد العديد من الفتوحات .. ونال العشرات من الندوب والإصابات .. لينتهى به الحال آخر المطاف وتسلم روحه وهو طريح الفراش .. كما تذكرت الرئيس السادات الذى قتل فى إحتفالية نصره وبين قواد جيشه وفى كنف حرسه الجمهورى ... إنها حكمة الله التى لا يعلمها سواه...

عدت إلى منزلى .. لملمت أشيائى وأحزانى .. ودعت أبى وأمى .. إنطلقت إلى أرض المعركه .. مسلحا بإيمانى بالله ومدركا أن مجابهة الإرهاب الداخلى ومواجهة عشوائيات البلاد وإنفلات الأخلاق .. تبدأ بدحض الفتن وتأمين الحدود وحصد رؤوس الخيانات..

وفى إحدى المداهمات لبؤره إرهابيه بجبل الحلال .. قادنا أحد أبطال بدو سيناء فى الإمساك بجميع أفراد الخليه .. ومن سخرية القدر أن تضم الخليه أحد الخونه من بدو سيناء .. ومن حكمة الله ألا يصاب أى منا بخدش .. سوى أحد الزملاء بالخطوط الخلفيه الذى إختصته رصاصه وحيده أطلقت من أحدهم قبل السيطره على الوكر وإستسلام الجميع .. وكأنه جاء ليزف شهيدا .. وتصطفيه الملائكه ليكون عريس السماء..

صلي الجميع على روحه المزكاه .. فلا بد أن الله خصه بهذه المنحه .. وخصنا بمعايشة المحنه ..

تحسست ما بجيبى من أوراق طلب النقل .. قمت بتمزيقها شر ممزق .. ودعوت كثيرا لصديق العمر الذى هجر أرض الموت ليلقاه فى دنيا الحياه...

أصبحت لا أخشى الموت .. فحين يأتى الأجل لن يخطئ طريقك أبداً .. ولا راد لقضاء الله وقدره .. .. وما الحياه إلا ..... أقدار .... واعمار ..... لا يعلمها إلا سواه..

إستيقظت من نومى .. تصفحت حسابى الألكترونى .. ووجدت آلاف التهانى معظمها ينحسر بين .. مبروك ياعريس .. الليله ليلتك .. نتمنى لك حياه سعيده .. هاتوحشنا .. الخ .. بعد تناول غذاء خفيف توجهت إلى النادى .. قوبلت بحفاوه احسد عليها وكانت هناك لافتات كبيره تحمل نفس المعنى .. بادرتنى زوجتى .. طبعا ماانت عريس الليله .. حيث تقام مباراة إعتزالى لعبة كرة القدم .. وتذكرت بداياتى مع نادى السراب الذى يحتل الشعبيه الأوفر ليس فى مصر وحدها .. بل فى المنطقه العربيه بأكملها وتذكرت اننى على مدار تسع سنوات شاركت فى حصد تسع وعشرون بطوله .. مابين دورى.. وكأس .. وسوبر .. وبطولات أفريقيه ....

بعد إنتهاء المباراه تم تكريمى خير تكريم واستقبلت هدايا لا حصر لها .. بالفعل كانت ليلة عرس جميله .. ..

تم إنتدابى لعمل إدارى بالنادى .. وفى السنه التاليه إنضممت إلى مجلس الإداره بعد فوزى الساحق فى الإنتخابات .. بعد فتره من إجتماعات المجلس إنتابنى شعور بأننى غريب فى بيتى .. فهناك من الأمور والتلميحات بين الأعضاء لا أستطيع إستيعابها .. بعد عدة شهور توفى د. حلمى الذى كان يشغل منصب امين الصندوق .. تقدمت لهذا الكرسى ولم يكن شاقا ان أفوز بالحقيبه الماليه لما اتمتع به من ثقة جميع أعضاء النادى والمجلس ... فوجئت من خلال إجتماع مغلق مع رئيس المجلس ونائبه .. بتسليمى الميزانيه مرفقه بملفين .. أحدهما أحمر والآخر أزرق ومدون عليهما عبارة .. سرى للغايه .. وبمجرد تصفحى للملف الأول أحسست ببركان يفور داخلى .. وبزلزال يتعدى مقياسه عشره ريختر يرجنى ويرج كل اركان المبنى الإدارى محل الإجتماع .. إذ فوجئت بكشف يضم ثلاث خانات .. رايه.. صفاره .. اشياء اخرى .. وتضم كل خانه اسماء لمجموعه من حاملى الرايه .. والحكام .. وبعض مدافعى وحراس مرمى ومدربى نوادى الخصوم .. وقد سجل امام كل إسم المبلغ الذى حصل عليه .. احسست بدوار شديد وانتبهت لسر اهدافنا المسجله فى اللحظات الحرجه من المباريات وكان معظمها من تسلل واضح او ضربة جزاء مشبوهه او متعمده من مدافع الخصم او سهوه لحارس

المرمى .. فى تصرف لاارادى تناولت ورقه وتقدمت بإستقالتى .. تجولت فى جميع اركان النادى ملقيا نظرة وداع اخيره .. حيث اننى قررت انهاء العلاقه مع بيتى الذى صنع منى .. بطل .. من .. ورق ... تلقيت اكثر من عرض من نوادى اخرى ..إلا اننى فضلت إفتتاح مدرسة كره بإسمى وتحت إشرافى .. فى خلال شهور إستطعت تكوين فريق متميز جدا .. حيث اننى امتلك رؤيه ثاقبه وقدره عاليه فى إكتشاف المواهب .. كما اننى على بينه بأحدث اساليب التدريب والتكتيك الكروى .. ولم يفوتنى مراعاه الناحيه الإخلاقيه فى إختياراتى تجنبا لأى خيانات .. إستطاع الفريق خلال سنوات قليله ان يرتقى للعب فى الدورى الممتاز .. بل والمنافسه على البطوله .. وجاءت المباراه النهائيه بين فريقى سابقا .. وفريق البراعم ... إستطعنا إحراز هدف .. إلا ان فريق السراب إستطاع إحراز هدفين .. الأول فى الدقيقه التسعين والثانى فى الدقيقه السادسه من الوقت الضائع .. بالطبع بعد إحتساب ضربتى جزاء مغلفتان بلون الملف الأحمر .. .. تقدمت بشكوى إلى لجنة الحكام وإتحاد الكره ولم أتلقى اى ردود .. اضطررت إلى التقدم بشكوى للفيفا مرفق بها شريط المباراه .. وللأسف دون اى جدوى .. طالت فترة إنتظارى وتذكرت الملف الأزرق .. إتخذت قرار اللجوء إلى القضاء ورفضت القضيه لعدم

تـوافر الأدلـه وعـدم وجـود اى مسـتندات .. نصـحنى الأصـدقاء الإستعانه بالمحامى المخضرم .. مصطفى منصور .. وبالفعل تم الإستشـكال ونجـح المتـر مصـطفى فـى تسـجيل كـل مـادار فـى إجتمـاع مجلس الإداره بعد أن تم شراء ذمـة سكرتير المكتب .. تنـاول المتـر موضـوع القضـيه والتسـجيلات عبـر وسـائل الإعـلام وعلى شاشات التلفاز .. فوجئت بالالآف الذين طالما هتفوا بإسمى يحوطـون المنتجـع الـذى يضـم سكنى ويهتفون ضـدى ويتوعـدونى شر وعيد .. مما إضطرنى عبر مكالمه هاتفيه مع إحدى البرامج الرياضـيه إسـتعدادى لسـحب الـدعوى .. وبالفعـل توجهـت فـى الصباح الباكر إلـى المحكمـه محصنا بشرطة النجده وتم التنـازل عن القضيه ..

قررت الخضوع إلى العرض المقدم إلى من نـادى الإمارات بعد ان تـم إهـدار دمـى مـن قبـل رابطـة مشـجعى السـراب .. تم إحتراف جميع لاعبى فريق البراعم فى أنديه كبيره منها المحلى ومنها الأوروبـى وبعضـها خليجـى .. إقترحت زوجتـى بيـع مسكننا الفـاخر .. ورفضـت بحسم وحـزم .. حيـث اننـى املك قـرار عـدم دخولى نادى السراب مرة اخرى .. ولكن وطنى حتما سأعود إليه يوما ... أكتب إليكم هذه القصـه من جزر الباهاما حيث أستمتع بإسـبوع أجـازه مـع زوجتـى الجميلـه قبـل بـدء عملـى بالإمـارات ..

أعدكم بقصه أخرى أثناء أجازه اخرى من جزر أخرى .. حيث أصبحت ملياردير بعد إحتراف براعمى الموهوبين .. ولم يفوتنى إحتفاظى بنسبه فى حال إنتقال أحدهم إلى أى نوادى اخرى ....

قتلة الحسين ....

فى ليله بارده من ليالى شتاء الصعيد الرطبه .. إستيقظت على صوت طلق نارى .. سرعان ماتحول صداه إلى صراخ ونحيب وعويل إستوطن جميع جنبات الدار .. وقد أفضى سقف الدار بسيل من الدموع ليملأ ويرمم بعض الشروخ فى الجدران باكيا أخى الأكبر الذى خر صريعا بطلقات غادره .. معلنا عن سقوط حلقه جديده من سلسال الطار العقيم ...

تشعبطت بجلباب خالى ولم أتمم السادسه بعد .. وتقدمت صفوف إيداع أخى مثواه الأخير .. وفى جنازه ضخمه مهيبه ضمت جميع أهالى النجع فيما عدا السرساويه .. شيع جثمان أخى دون اللجوء للشرطه ودون إستخراج ترخيص دفن ..

بالطبع لم يكن هناك شهود تشير إلى القاتل سوى ضوء القمر فى ليلته الرابعه عشر الذى شاهد ورصد عملية القنص .. وقد إصطف القمر بجانبنا حتى الإنتهاء من إتمام مراسم الدفن دون تلقى العزاء إلى حين الأخذ بالثأر .. وإن كان القمر شاهدا لا يعتد به .. إلا أن تجمع الأهالى فى اليوم التالى فى السرادق الذى أقامه السرساويه عزاءا لفقيدهم الذى قتل منذ أشهر كان خير دليل

وأعظم يقين على مصدر إطلاق النار والإشاره بوضوح إلى قتلة أخى وشقيقى الحبيب ..

الآن فقط أدركت سر الرابط بين قتلانا وعزاء السرساويه .. وسرادقنا الذى يقام عقب كل قتيل سرساوى .. كما تفهمت نهيى عن اللهو واللعب مع صديقى القديم .. رضا السرساوى ... الذى تناوبنا قتلانا واحد بعد الآخر .. فقد شيع أباه وأخواه .. وهأنذا أفقد أخى بعد فقدانى أبى وأخى الأكبر .. ويتبدل حال الأصدقاء .. لنصير أنا ورضا أعداء .. وتصبح المبارزه وجها لوجه ...

ورغم إنشغال أعمار سنى فى هواياتهم التى يتوقون إليها من لعب الكره والتحطيب .. والإهتمام بدروسهم والتخطيط لمستقبلهم .. إلا أن شغلى الشاغل كان ينحصر فى التدرب على إستخدام السلاح والتمكن من قتل رضا .. ورغم أن الجميع يحلم بيوم عرسه أو يوم تخرجه .. إلا أن حلمى الأكبر كان .. إقامة سرادق عزاء أخى ورفع قامة أفراد عائلتى ..

فجأة أختفى رضا تماما .. فلا تواجد له فى المدرسه ولا حضور فى صلاة الجمعه ولا مشاركه فى الأعياد أو الألعاب الجماعيه ..

فقد إستطاع خالـه الهـروب بـه إلـى القـاهره .. وتحـول شـغلى الشاغل إلى التوصل إلي مكانه وكيفية السبيل إلى محل إقامته ..

مرت سنوات وسنوات .. ورغم حشد جميع الجهود للوصول إلى رضا .. ورغم المراقبه اللصيقه لخال رضا خاصة حين التوجه إلى القاهره .. إلا إنه للأسف الشديد لم نستطع التوصل إلى مكانه ..

بعد فقدان الأمل وتبعثر الأمانى فى إقامة سرادق أخى .. لجأ إلينا أحد العاملين بالسجل المدنى ناشدا مكافأه مجزيه .. ليبوح لنا بسر قيـام رضـا بتغييـر إسـمه .. ويصـبح إسـمه الحسـين علـى إمـام السرساوى ..

لم تكن المهمه صعبه للوصول إليه .. والغريب انه يعمل ضابط بالقوات المسلحه فى منطقة العريش بشمال سيناء .. كيف وهو وحيد أمه .. لا نعلم ..

على الفور .. توجهت إلى التجنيد ناشدا الخدمه العسكريه فى ظل دهشة الجميع .. حيث أننى وحيد أمى أيضا .. ولم يكن الأمر شاقا فى توزيعى لمنطقة العريش .. بل كان محل ترحيب نظرا للخطوره التى تحيط بهذه المنطقه .. وكنت حريص كل الحرص على عدم تدوين إسم العائله وإكتفيت بإسمى ثلاثى .. دون التنويه

إلى إسم النجع .. مكتفيا بإسم المحافظه .. كما حرصت على إطلاق شاربى وحلاقة شعرى بالكامل ..

أخيرا بعد وصولى .. وجدت نفسى وجها لوجه مع صديق الطفوله وعدو عمرى .. ويبدو انه لم يتغير إسما فقط بل طال التغيير كل جوانبه الشخصيه والجسمانيه .. فقد أصبح فارع الطول .. مفتول العضلات .. عذب الكلمات .. بشوش المحيا ..

إستقبلنا الحسين المنوط به تدريبنا وتأهيلنا .. والأهم من التدريب والتأهيل .. التحذير والمبادره فى حال الإحساس بأى خطر يداهمنا ..

رغم إهتمامى بكل مايقال وإنتباهى أثناء التدريبات .. إلا إن إتمام العمليه الكبرى كانت هى مهمتى الأعظم ..

وذات ليله وأثناء ورديه حراستى المعسكر .. فاجئنى السيد الضابط أثناء تفقده للحراسات بسؤال مباغت .. إيه الجرح اللى وشك ده ؟ .. وأجبته .. دى آثار سقوطى من على الشجره منذ الصبا .. وإذ به يفاجئنى .. لا .. ذاكرتك ضعيفه ياأبواليزيد .. دى آثار حادث سقوطك اثناء تعلمك قيادة الدراجه .....

مش فاهم يافندم ..

لا إنت فاهم كويس ..

حضرتك عارفنى ؟

طبعا .. بياناتك باالكامل مع التحريات تسبقك هنا فى العريش .. وأنا الذى سعى لضمك للكاتيبه التى أتولاها .. وأعلم جيدا المهمه التى ساقتك إلينا هنا .. ولكن فلنؤجل تلك المهمه قليلا .. حيث لدينا مهام أصعب وأعم وأهم ... لدينا عدو أحمق يتربص بى وبك ويكفرنى ويكفرك ..

تمام يافندم ..

أرجو أن تدعونى رضا حال وجودنا بمفردنا .. وحشنى كتيييير يابواليزيد ..

وحضرتك وحشنى كتير يافندم .... يارضا

طيب إسمحلى أفهم .. إيه اللى جاب حضرتك هنا .. وإحنا هنا بنعمل إيه وبنحارب مين ؟

بعد إنتقالى إلى القاهره وتغيير إسمى .. عشت فى كنف صديق خالى .. وأصبح فى منزلة أبى رحمة الله عليه .. وكان له إبن يعمل ضابط شرطه .. وللأسف تم إغتياله عن طريق التكفيريين .. لذا عاهدت الله أن ألتحق بالكليه الحربيه ناشدا الثأر لأخى الذى لم تلده أمى .. يعنى الطار هو اللى جبنى هنا .. زيك تمام..

أما إحنا بنحارب مين فهذا أمره يطووووول .. أتركك لحراستك ونستكمل لاحقا .. صحصح وأى تسلل .. إضرب فى المليان .. بس بعيد عنى ياعسكرى أبو اليزيد ..

أمرك يافندم ..

تركنى رضا فى حيره من أمرى .. عينان مفتوحتان ترصد أى مداهمه .. ومخيله تسافر بى إلى بلدتى التى تترقب عودتى متأهبه بفراشة سرادق أخى ..

لا بأس أن تؤجل المهمه .. ولا رجعة لى إلى أهلى وبلدتى إلا بعد إتمام المهمه ..

كـان حضـرة الضـابط الحسـين يعـد محاضـرات تثقيفيـه تخـص الصراعات فى منطقة الشرق الأوسط والأخطار والمكائد التى تعد لمصـر والمنطقـه العربيـه .. وذلـك لشـحن الهمـم وترسـيخ الـدور الحتمى الذى نقوم به دفاعا عن الوطن ..

كان أهم مالفت نظرى .. هو الدور الإيرانى فى المنطقه .. وكيف إسـتطاع بـوش الكبيـر الـذى كـان يتـرأس المخـابرات المركزيـه الإطاحـه بشـاه إيران وتنصيب اية الله الخمينى على عرش إيران ويتم زرع شوكه جديده فى المنطقه تؤازر الدور الإسرائيلى ..

وقد إستطاع بوش الكبير أن يبسط نفوذه بعد أن ساهم فى هزيمة كارتر بطل سلام كامب ديفيد بعد التحفظ على موظفى السفارة الأمريكيـه بـإيران كرهـائن .. ولـم يـتم الإفـراج عـنهم إلا بعـد فـوز ريجـان الـذى أتـى ببـوش نائبـا لـه ليصـبح هـو المهيمن علـى حكم أمريكا والتخطيط لشرذمة البلدان العربيه والقضاء على جيوشها ..

كانت المحاضره دسمه جدا .. وأصبحت أترقب المزيد من هذه المحاضـرات .. كيـف تكـون إيـران ذراع أمريكـا فـى المنطقـه ومـع ذلك تقوم بفرض عقوبات وتحفظات على مشروعها النووى ..

جعلنى ذلك أتوجه للحسين ناشدا درس خصوصى ..مستوضحا منه هذا اللبث وتلك المتناقضات ..

لم يبخل على الحسين فى الشرح والتوضيح .. وبدأ يفند لى كيف إستطاع الأمريكان أن يورطوا صدام حسين فى محاربة إيران ثم الزج به فى حرب الكويت لينتهى الأمر بإحتلال أمريكى للعراق ويتم تفنيش الجيش العراقى الذى يعد من أقوى الجيوش العربيه .. والمدهش فى الأمر تسليم العراق للذراع الإيرانى قبل الإنسحاب منها ..

لم أفهم بعد كيف يتم ذلك فى ظل العقوبات والتحفظات الأمريكيه على النظام الإيرانى ؟

هكذا السياسه يابواليزيد .. أن تظهر غير ماتبطن .. ولنتناول حزب الله فى لبنان الذى يتبع إيران .. كيف أشيع إنه حقق النصر على إسرائيل وأرغمها على الإنسحاب فى حين أن إسرائيل قامت بدك البنيه التحتيه لبيروت بالكامل وأن صواريخ حزب الله لم تقتل يهودى واحد .. لقد تم الإنسحاب بخديعه كبرى حتى ينال حزب الله صك حكم لبنان ويصبح له وللنظام الإيرانى الهيمنه عليها ..

ومن بعد ذلك تم الهيمنه على غزه عن طريق حماس والخلاص من فتح والقضيه الفلسطينيه بدعم إيرانى وتخطيط صهيونى أمريكى ..

وجاء الدور على مصر وتم التخطيط لثورة ٢٥ يناير بالتعاون مع الإخوان المسلمين .. معتمدين على فساد مبارك وحاشيته ومراهنين على إعتراض الشعب المصرى على حال البلاد المتردى .. ولكن أنظر للتاريخ وكيف جاءنا الأحمدى نجاد بمجرد نجاح الثوره وكيف كانت أولى سفريات الرئيس مرسى إلى خارج البلاد أختص بها إيران ..

أنظر إلى الدور الإيرانى فى سوريا وفى دعم حوثيين اليمن ... لقد خطط اليهود لإبتلاع المنطقه بالكامل دون إطلاق رصاصه واحده فقد تم الإستعانه بالدوبلير الإيرانى .. والمنظمات الإسلاميه المأجوره للقيام بهذا الدور .. ولولا ثورة ٣٠ يونيو وإنقلاب الجيش على مرسى لصارت البلاد إلى هلاك ..

لم يعد هناك مكان فى مخيلتى للذهاب إلى بلدتى فقد أصبحت ممتلئه مشغوله بما هو أهم وأغلى .. وهل هناك أغلى من الوطن!

مرت الأيام وتناوبت المحاضرات وتعددت التدريبات .. وأقر وأعترف أن ما إستوعبته فى شهرين وأربعة أيام يفوق كثيرا جميع كل ماتعلمته فى رحلة العمر .. حتى تدريباتى على السلاح إكتسبت طفره ملحوظه خاصة التصويب أثناء الحركه وضرورة المبادره ورفع الحس الأمنى ..

لم يمر يوم دون مناوشات .. ولم يمر أسبوع دون سقوط أحد الشهداء .. والمدهش أن الجميع لا يأبه ولا يبالى .. فالجميع هنا مستعد تماما للشهاده فداءا للوطن ودفاعا عن ترابه .. والغريب أن الجميع لا يترقب أجازاته .. بل ويأبى الكثير القيام بها ..

تتوالى الأيام وتعاود الصداقه القديمه طريقها فى شكل جديد .. صداقة تلميذ ومعلم .. متدرب ومدرب .. باحث يحبو ومنارة ثقافات

رغم تميز جميع الكتائب فى أرض الفيروز إلا أن كتيبتنا كان لها السبق دائما فى المهام الصعبه وتحقيق البطولات .. وكان الحسين قائد الكتيبه مثال يحتذى به ويحرص دائما أن يكون فى الصفوف الأولى .. وكان ذو مقوله شهيره أن الشهاده لا رتب لها .. فهى لا تفرق بين جندى ومشير ..

وذات يـوم وأثنـاء تواجـدنا داخـل سـياره جيـب ضـمن مجموعـه الحراسه بإحدى الكمائن .. لمحنا سياره ذات دفع رباعى تتجه من بعيد نحـو الكمين .. وإذ بالحسين يأمرنـا بـإخلاء السياره فورا .. ونفاجئ به يقود الجيب وحده مندفعا لإعتراض السياره ويدوى فى لحظات إنفجار رهيب مرعب يودى بجميع من فى السياره التى تحمل كم هائل من المتفجرات تقدر بملاييين الجنيهات .. وتتناثر أشلاء البطل الشهيد لتنثر بذور البطولـه والتضحيه على رمال أرض الفيروز ...

ظل الجنود فى مهمه مستحيله مهمة تجميع أشلاء البطل .. وكانت دموعهم تروى بذور حبيبات جسده الطاهر .. وبعد عمل مضنى لم يستدل إلا على حفنتين من أعضاءه التى كان يميزها عن أشلاء الخونه .. نور ربانى ودماء مزكاه ..

كان القرار أن يضم الكفن تلك الحفنتين مع مخلة البطل وخوزته .. وأن توضع هذه الحزمه الطاهره بسلام وطمأنينه فى أحضان علم مصر .. وكانت وصية البطل أن يدفن ببلدته وأن يقوم الجندى أبواليزيد بمرافقة الجثمان وتولى مراسم الدفن .. حتى يتسنى له إقامة سرادق أخيه ..

تم إستقبال نعش البطل الغائب عن البلده منذ زمن طويل فى زفة حب وشوق لطفل هجر بلدته هربا من الطار المقيت .. وكان فى مقدمة الجنازه كم من النياشين والأوسمه قلما يفوز بها رجل فى عمره .. وكان يتبعهم فى تواضع جم مندوب الرئيس والسيد المحافظ وقادة الجيش وعلية القوم ..

بعد الإنتهاء من مراسم الدفن وتلاوة كبار المقرئين لما تيسر من آيات القرآن الكريم .. تناولت الميكرفون موجها كلمه للحضور الذى ضم جميع أهالى البلده دون إستثناء .. رجالها ونسائها .. كهولها وأطفالها .. مسلميها ومسيحييها

.. وبصوت مخنوق مبلل بالدموع .. إستهليت كلامى ..

بسم الله الرحمن الرحيم .. أيها الناس .. أشهدكم وأشهد الله أننى ظللت أبحث طوال عمرى عن عدو وهمى أقتص منه .. وحين وجدته أيقنت أن إختفاءه لم يكن عن خوف أو جبن .. بل كان شجاعة قرار .. وبدلا من قتله وإنهاء أجله .. إستشهد هو من أجلى .. بل وأوصى أن أتولى مراسم دفنه .. رفعا لشأنى وحفظا لكرامتى .. لقد تعلمت منه فى شهور عده ما لم أتعلمه فى سنوات

طويلـه .. تعلمـت منـه العـزه والكرامـه .. الحكمـه والشـجاعه .. التضحيه وإنكار الذات ..

أيها النـاس أفيقوا أثـابكم الله .. وألفظوا ظـاهرة الطـار البغيض .. وبدلا أن يقتل بعضنا البعض .. فليعمل الجميع على لم الشمل والتأهب لعدو يتربص بنا ويعد العده للإنقضاض على من يتبقى منا بعد الخلاص من بعضنا بإيادينا .. وبسلاح هو له هادينا ..

أيها النـاس تسامحوا فيما بينكم .. إتحدوا .. ففى الإتحاد قوه .. وأعدوا ما إستطعتم من قوه لعدو يتربص بكم ويود لو ملتم ميلا كبيرا

أيها الناس تناسوا مابينكم من طار وكفوا عن قتل بعضكم البعض .. ولتعلموا أن طاركم مع من يمول بعضكم ويمدهم بالسلاح .. مع من يسمم أفكاركم ويفتنكم فى دينكم .. مع من يسلط عليكم الجماعات الحقوقيه .. وينهب حقولكم النفطيه ..

أيها الجمع الكريم .. إن طاركم مع قتلة الأبرياء .. مع مغتالى الشرفاء .. مع مهددى الشرطه الأمناء

طـاركم مـع متربصـى الجـيش الحصـين ... طـارى وطـاركم مـع الإرهابيين ..

مع قتلة الحسين .....

فـى زخـم الحيـاه .. وخضـم المشـغوليات .. وتـراكم المشـاكل .. إستطعت اللحاق بشلة النادى فى رحلتهم إلى جونة البحر الأحمر فى اللحظات الأخيره .. ورغم أننى آخر المنضمين إلى الرحله .. إلا أننـى كنت أول المتواجدين من الشله فى المكان المخصص لإنطلاق الأتوبيس .. فأنا أميل دائما إلى الإلتزام .. ورغم ذلك جاء مقعدى فى الصف الأخير فى منأى عن الشله .. لا أبالى فستكتمل الصحبه حين الوصول بمشيئة الله ..

إنطلق الإتوبيس الساعه الثالثه صباحا بتأخير نصف ساعه عن الموعد المقرر نظرا لتأخر البعض فى الوصول وبدأنا الرحله على بركة الله ..

هـالنى أولاً .. تهالـك الأتـوبيس بعض الشـئ .. وإن ظفرت أنـا بالنصيب الأكبر من الهالك حيث صدى ضوضاء الموتور وما يبعثه من سعرات حراريه تنعش ذاكرتك بمجاهل أفريقيا أو تجعلك تترقب الخبز الفلاحى يطل عليك من فرن ريفى .. هذا بالإضافه إلـى هزهـزة المـؤخره التـى تخـص الجالسـين بـالخلف مـن أهـل السبنسه ..

هـالنى أيضـا نـون النسـوه اللاتـي تحتلـين الغالبيـه العظمـى مـن المقاعد .. ولا أبالغ إذ أقررت أنهن تشغلن نسبة إنتخابات الرئاسه إبـان الحكـم البـائن قبـل الثـوره .. ٩٩٪ لـتعكس ظـاهره تسـتحق الدراسه .. هل يعمل الرجل ويشقى ليوفر للمرأه ما تحتاجه لتبدده فى التنزه والإستمتاع .. أم يفعل هذا حرصا منه على راحته هو لبعض الوقت حتى يتسنى له قضاء فترة نقاهه مؤقته وأجازه من عش الزوجيه وهدنه من مناهدة الزوجه .. أو ربما إسهاما وحرصا على ترميم شروخ العلاقه الأسريه ضمانا لإستمرارها ..

وراعنى إنهن لا تختلفن كثيرا عن رحلات أبو قير فجميعن ترتدين الحجاب عدا إثنتين .. إحداهن سافره والأخرى ترتدى الخمار .. ربما تكون الأولى مسيحيه والأخرى زوجه لرجل يعمل بالجونه .. هكذا جاء تخمينى .. والله أعلم ..

شق الإتوبيس الطريق والليل فى خفه وسرعه .. وسبحان الله .. إذ لـم أمضـى فـى هـذا الطريـق منـذ سـنوات عضـال .. وإذ بـالبحر يحتضن كم من القرى السياحيه تضاهى الساحل الشمالى وتزين طريق صحراوى طالما إعتدت على وحشته فى الماضى القريب .. إذ لم يكن هناك ما تلمحه العين بعد السخنه وحتى الغردقه سوى طـواحين هـواء الزعفرانـه ومحطـة وقـود قـرب رأس غـارب يجاورها

إستراحه متواضعه .. بالإضافه إلى بعض المبانى المتناثره التى تتبع شركات البترول .. ودير يخص الإخوه المسيحيين ..

توقفنا قبل شروق الشمس فى إستراحه فاخره تحمل سمة الخمس نجوم .. الزعفرانه هاوس .. لنبدأ بعدها رحله نهاريه نستهل بها يوم جديد يسوقنا إلى مكان جديد ..

وصلنا بعد ساعات إلى حدود الجونه التى عشقتها منذ النظره الأولى وشعرت إنها دوله لا تمت لجمهورية مصر العربيه بصله .. دوله منمقه مرسومه ومنحوته بعنايه فائقه .. إندهشت حين سمحوا لنا بالولوج داخلها دون الإطلاع على جوازات السفر ودون تأشيرة دخول ..

وصلنا إلى الفندق الذى تعكس ملامحه تواضع مفرط .. وظننت أننى قادم إلى بنسيون أو موتيل .. وتأكدت ظنونى حين لمحت الإستقبال وتواضع الإستراحه الملحقه به إنتظارا لتسكيننا ..

إستطعنا بتوصيه من أميره الأميره .. مندوبة الشله فى متابعة وحجز الرحلات من تسكيننا فى غرف تطل على حمام السباحه فى منظر خلاب .. وبعد لحظات أهدوا كل منا إسوره كفيله بفتح بوابة الفم وهاويس البلعوم وصمام المعده على مصراعيه .. فمن

يضعها فى معصمه يمنح تأشيره مجانيه لجميع مطاعم وكافتريات ومقاهى القريه .. حمدت الله كثيرا أن الرحله أربعة أيام فقط .. فقضاء أسبوع هنا كفيل بإعتزالى لعبة الاسكواش التى أعشقها .. بعد تناول غذاء شهى .. كان لا بد من قسط من الراحه وسويعات قليله نخلد فيها للنوم شحنا لبطاريات إستهلتكها مشقة طول الطريق ..

توجهنا على أثر نوبة الصحيان إلى المطعم لتناول وجبة العشاء .. بعدها بدأنا نتجول فى أروقة القريه مندهشين .. مستمتعين .. مبهورين .. غير مصدقين .. واكتشفنا أن منظر حجرتنا الخلاب متواضع للغايه .. فجميع الحجرات تطل على بحيرات ساحره وخضره متناسقه .. بل هناك شاليهات تتمتع بشبه جزيره .. تطوقها المياه من كل جانب .. وحين ترتاد التراس تشعر وكإنك جالس فى مركب لا ينقصه إلا الشراع والمراكبى ..

إنتابنى إحساس أننى حمار .. حيث كنت أحرص على السفر إلى أوروبا للتنزه مستغلا تذاكرى المجانيه التى يمنحنى إياها عملى السابق بإحدى شركات الطيران .. وقد وجهت ابنى مؤخرا بالسفر إلى شرق آسيا لقضاء شهر العسل .. كيف فاتنى هذا المكان البديع .. كيف لم أسعى للإقامه هنا أطول الأوقات .. كان

إحساسى بالحموريه يتوغل داخلى شيئا فشئ كلما ساقتنى قدماى إلى ركن جديد بالقريه .. ركن يزيد التابلوه سحرا وجمالا ..

فى اليوم التالى إجتمع الفوج على الفطور .. وكانت المره الأولى التى أرى فيها الوجوه بوضوح .. الجميع مقبل على قضاء أوقات جميله وأجازه ممتعه .. ومعظمهن يتصرف بمرح ورقى .. ولفت نظرى إنطلاق السافره الحسناء فى حلقات رقص متواصل .. لتلتقى الأنظار حول خصرها .. وتسرى جاذبيتها فى مخيلات الرجال كالنار فى الهشيم .. ورغم تحفظى إلا اننى أقر أنه طالنى بعض شظايا الشرر ..

بالإضافه إلى حمامات السباحه المتنوع حجمها وشكلها .. والجاكوزى ..والبحيرات .. والأرجوحات المنتشره فى كل ركن .. وألعاب الأطفال التى تزين المكان .. توجد مركب كل ساعه تشق بك هذا التابلوه الجميل لترسى بك على شاطئ بحر نزع منه دسم الأمواج .. يحيطه الخضره والنخيل من كل مكان .. يااالله .. ماهذا الجمال والإبداع .. جعلنى سحر المكان .. أتحسس حولى .. فربما تلاقيت مع أحد الصحابه أو أحد الشهداء .. فلا بد أننى فى قطعه من الجنه ..

وبعيدا عن دهشتى بالمكان .. جاءت دهشتى بإحداهن .. إمرأه تبلغ من السنوات العديد .. ومن الأوزان المزيد .. ولكنها تنطلق كالفراشه فى مرح وبشاشه .. غير مستسلمه لعوائق الحركه .. مزوده بدراجه مهجنه على سكوتر تجعلها دائما فى المقدمه عند إرتياد أى مكان .. وتستند عند اللزوم على إبنتها ذات الخمار .. والمدهش إن إبنتها لا تقل عنها مرحا .. بل وتجيد السباحه خير إجاده .. وأصارحكم القول أننى تلصصت عليها كثيرا فربما أزاحت المياه خمارها وكشفت عن وجهها الذى أتوق إلى رؤياه ..

ساقنى الفضول إلى التودد والتقرب من مدام غاده ذات الجذور السوريه وصاحبة الدراجه الأسطوريه .. وقد دار بيننا حديث شيق مرح .. فهكذا حديثها دائما .. حديث لا ينتهى ولا تتمنى أن ينتهى .. إذ إنه ينساب فى عذوبه عفويه مغلفه بخفة دم وقفاشات تنم عن ذكاء نقى خالى من الدهاء ..

وكإنها تقرأ الطالع وتتلمس فضولى .. ودون أن تنبت شفتاى بسؤال .. إستطرقت فى الحديث عن إبنتها وخمارها .. إذ إنها كانت فى الماضى القريب زوجه لبطل من أبطال الصاعقه المصريه .. وقد إغتالته أيادى الإرهاب الأسود .. بعدها قررت

العيش على ذكراه .. وحرمت وجهها على أى رجل سواه .. وكان مخبأ الخمار هو الحل والملاذ ..

حمدت الله كثيرا على عدم فلاحى فى التلصص .. وأدركت لثاني مره أننى حمار .. إذ لم أدرك الخمار الذى يستتر خلف الخمار..

مضت الأيام سريعا .. وكان فمى مفتوح دائما .. مره لتناول الطعام .. ومرات لدهشتى وإعجابى بالمكان .. وهانحن نطوف فى رحله بحريه حول الجزر لنعاين قصور وفيلات وفنادق تحتضنها المياه من كل جانب .. وهذه منطقة مارينا التى تشعرك إنك فى جزر الباهاما أو جزيرة رودس باليونان أو هاربر سيدنى بإستراليا .. بل وأشهد إنها تفوقهم جمالا وسحرا ويخوتا ..

حتى منطقة وسط البلد .. الداون تاون .. عندما تتجول بين أزقتها تتنسم رائحة ميلانو وأولد مونتريال .. وحين تجلس على إحدى مقاهيها .. تجعلك تراجع أبجديات اللغات الأجنبيه .. فأنت فى مقهى أوروبى على جميع المستويات .. حتى وسيلة المواصلات الأساسيه .. التوك توك .. ترتدى ثوب الفرنجه .. ذو رونق وألوان زاهيه ويونيفورم وتسعيره يلتزم بها الجميع ..

قبل العوده كان لابد من زيارة متحف الأحياء المائيه .. وبرج الجونه .. ورغم إنه لا يشتمل إلا على طابقين ويعد أقصر الأبراج ولا يدنيه سوى أبراج الحمام إلا إنه يطل على ربوع الجونه التى تفوق ربوع سويسرا جمالا .. ويرصد بحيرات تتوارى منها بحيرة زيورخ خجلا وحياءا .. وأظن أن طله واحده من أعلى هذا البرج كفيله بإبرائك من أمراض الضغط المزمن والتوتر العصبى والإرهاق النفسى ..

للأسف الشديد حان وقت المغادره .. إستقلينا الأتوبيس الذى يعد أفضل حالا من سابقه .. وإضطررت إلى وداع الصحبه بشكل مؤقت وتوجهت إلى مقعدى الخلفى رافضا محاولات الأميره أميره إيجاد مكان مجاور لهم ..

إنطلق الأتوبيس فى طريق العوده .. والغريب عدم مرورنا على إدارة الجوازات أو الجمارك .. وكعادتى ظللت أتفحص الطريق وما زانه من قرى سياحيه فاخره .. فأنا لا أجيد النوم فى وسائل المواصلات جويه كانت أو بريه ..

بعد الإستراحه الثانيه .. وفى طريقنا إلى السخنه .. فاجئتنى السافره الحسناء التى تحتل مكانه متقدمه فى صفاف الموزز ..

بالتوجـه إلـى السبنسـه .. وبصـوت أنثـوى أنيـق نبسـت شـفتاها مستأذنه ..

ممكن أجلس بجانب حضرتك ؟

طبعا تشرفى .. أهلا بحضرتك

الحقيقه المدام اللى جانبى طخينه شويه وعايزه تأخذ راحتها فى النوم .. وحضرتك مش نايم ليه زى باقى المجموعه ؟

الحقيقـه .. مـاأعرفش أنـام فـى الأتـوبيس .. وإسـمحيلى أوجـه لحضرتك نفس السؤال .. ليه مش نايمه ؟

أنا .. أنا بأخاف أنام ..

مش فاهم ..

ده موضوع شرحه يطوول .. أنا إسمى فلانه ..

وأنا إسمى أمين ..

بدأنا حوار ظننت أن غايته تبادل أرقام المحمول والإتفاق على رحله قادمه .. وربما تكون رحله خاصه .. ولكن الحديث تطرق

إلـى شـتى المجـالات .. جمـال وسـحر مدينـة الجونـه .. الحيـاه الإجتماعيـه .. الشئون الكرويـه .. بعض الآراء الفلسفيه .، حتـى الشأن السياسى لم يسلم من حوارنا ..

مرت الساعات مهرولـه .. وبدت القاهره تلوح فى الأفق .. سألتها .. ممكن أراك فى الرحله القادمه ؟

الله أعلم .. فهذا السؤال يعود بى إلى سؤالك الأول .. ليه بأخاف أنام .. هاقولك بس ده سر بيننا ..

أنـا عنـدى كانسـر .. سـرطان وفـى حالـه متـأخرة .. ومـش عارفـه هـالحق الرحلـه القادمـه أم سـأتخلف عنهـا مجبره .. فرصـه سـعيده ياأمين ..

فرصه سعيده يافلانه .. سأحتفظ بالإسم حفاظا على السر ..

غـادرت العليلـه الحسناء عائده إلـى مقعدها .. وتركتنـى فـى حيره من أمرى .. فقد أدركت أننى حمار و إنها الأخرى ترتدى خمار من نوع آخر ..

وصل الأتوبيس إلى محطته الأخيره .. غادرت مودعا الأميره وباقى الشله .. ومدام غاده وخمار إبنتها .. وفلانه التى بادرتها .. إلى اللقاء .. وأجابتنى .. أشك أن يكون هناك لقاء .. ربما

لملمت أشيائى وتحسست ذيلى الذى بدأ ينبت خلفى وإنصرفت بعد أن أيقنت أننى بالفعل .. حمااااار ..

إن ابغض الحلال عند الله .. الطلاق ...

جاء تعارفى عليها بمحض الصدفه .. حين كانت بصحبة صديق الطفوله طارق .. ورغم إنها لم تستهوينى فى بادئ الأمر إلا اننى بدأت التعلق بها حين واعدتنى سرا بمنأى عن طارق .. ورغم مراهقة وهوائية العلاقه بيننا إلا اننى بدأت التعلق بها وصارت لقائتنا السريه تشكل جزء هام فى حياتى بل صارت قبلاتها التى تشع نارا تلهب كل وجدانى هى اهم طقوسى اليوميه .. بعد تزايد اللقاءات وتعدد القبلات باتت الخطبه واجبه .. وخلال فترة قصيره ايقنت اننى لا اطيق الحياه دونها مما جعلنى انشد القرار الصعب وهو الزواج السرى وبالطبع كان طارق هو شاهدى الأول .. كما كان قلة من اصدقائى المقربين هم كل المعازيم .. حيث أننى لم اجرؤ على البوح بهذه الزيجه لأهلى واسرتى خاصة انى مازلت اتقاضى مصروفى من والدى واعيش فى كفالته .. ومازلت اتذكر حين جرؤت أول مره بإصطحابها إلى منزلى وإنتهاكى حرمة بيت ابى .. بالطبع فى غياب اهل البيت .. ومازال قلبى يخفق حين فاجئتنى امى ذات مره بالحضور مبكرا مما ارغمنى على إخفائها بين ملابسى فى دولابى ليله كامله وكاد نسيم عطرها يفضح امرى .. ورغم سرية الأمر إلا انه تسرب بشكل ما إلى امى التى بكتتنى

كثيرا ونصحتنى بحتمية الطلاق .. ورغم يقينى بدراية ابى .. ويقينى ان امى لا تخفيه سرا إلا إنه لم يحاول مصارحتى او مواجهتى ظنا منه إنها مجرد نزوه او علاقه عابره سرعان ماتمضى إلى حال سبيلها .. جاء حدس ابى فى غير محله حيث توطدت العلاقه مع زوجتى واضطر أبى آخر المطاف إلى إقرار الزواج رغم حرصه على عدم مباركته قط .. بعد سنوات طويله من العشره اصبحت زوجتى هى شريك حياتى تلازمنى فى المره قبل الحلوه .. وتشاركنى احزانى قبل افراحى .. وصار عطرها يطوق أناملى وجميع ثيابى .. يصبغ مضجعى وستائر حجرتى ..

وذات يوم خلال تواجدى بمحل عملى فاجئتنى ذبحه تعتصر صدرى .. ولولا سيارة الإسعاف التى قادتنى إلى المشفى وفلاح الطبيب فى قطع الطريق على عزرائيل فى اللحظات الأخيره .. لما ادركتنى السماء ليهبنى الله سبحانه وصله إستثنائيه لبنطال عمرى ..

المدهش ان يباغتنى الطبيب بمسئولية زوجتى عن سوء حالتى وينصحنى سرعة طلاقها ..

إستقبلت النصيحه دون ان يمهلنى الطبيب حق الرد فقد سار المخدر فى دمى وبدأت رحلتى إلى ظلام الغيبوبه .... لا ادرى كم مر من الوقت قبل ان افتح عيناى لأجد حولى جميع الأهل والأحبه وارى طارق مستلقى على مقعد فى ركن الحجره وألمح زوجتى تتربع الطاوله المجاوره له .. وبإيمائة منى دفع طارق زوجتى إتجاهى ليفاجئ الجميع بتعنيفها ولطمها ونهش خلايا جسمها وطرحها ارضا .. بعد إشهاد الجميع بطلاقها طلقه بائنه لا رجعة فيها .. وكان هذا آخر عهدى بعلبة .... السجائر .... وأكاد أجزم ان الله وملائكته يباركون هذا الطلاق .... عليك أيها المراهق بتجنب التعارف وعدم مغازلة زوجة صديقك مهما إستهواك قوامها او جذبتك نكهة عطرها .. وعليك أيها المدمن بحياة الزهد والرهبنه وحتمية الطلاق او الخلع .... ولتعلم أن الله يبارك هذا الطلاق رغم إنه أبغض الحلال ..

آلو .. أكلم مدحت بيه .. بسرعه والنبى .. ضرورى جدا لوسمحت ...

مدحت بيه فى إجتماع ..

لا .. أنا عايزه ضرورى .. قوله خالك عبد اللطيف عايزك بسرعه ..

دقيقه واحده ياباشا أشوفه لجنابك ..

آلو .. أيوه ياخال ..

كلمتك كتير وموبايلك مقفول ..

معلش .. أنا فى إجتماع .. خير ياخال ..

لا .. مش خير خالص .. مرات نادر إتصلت من شويه وقالت إن زمايلك جم وخدوه ..

ياخال .. مانا نبهتك وحذرتك كتير أنت ونادر قبل الجواز .. الست دى وأبوها وأخواتها لابسين عمامة المتأسلمين ومش هاييجى من وراهم غير كل قلق ومشاكل وهم .. على العموم هاشوف إيه الموضوع وأكلم حضرتك ..

ماأوصكش عليه .. ده إبنى الوحيد .. وأمه منهاره .. أوعى تتأخر علينا ..

ياخال .. د:نادر ده أخويه الصغير ...
أغلقت التليفون وإستأذنت من الإجتماع وتوجهت توى إلى الإداره .. لأستبين الأمر .. وفور وصولى نبهت الجميع بحسن معاملته عند الإستجواب وعدم إتباع إسلوب التلطيش والبذاءات المعتاده .. فهو طبيب محترم وملتزم ومعتدل .. وإن كان ميزان الإعتدال بدأ يميل كثيراً بعد هذه الزيجه المشئومه ..
حرصت على رؤية نادر قبل مغادرتى لتطمينه وللتأكد من عدم الإساءه إليه .. مع نصحى له بالمصارحه التامه عند تكملة الإستجواب .. ولم يفوتنى مهاتفة خالى وزوجته الطيبه .. والسماح لنادر بحديث مقتصر معهم..

عدت إلى مكتبى وإنخرطت فى مشاكل أمن الدوله التى لا تنتهى .. ورغم مشاغلى إلا أننى كنت حريص على الأطمئنان على نادر من حين لآخر مع إتصالى بخالى وإعلامه ان نادر سيكون فى ضيافتنا هذه الليله وربما يتم إخلاء سبيله خلال يوم أو إثنين .. وبعد يوم شاق طويل حرصت على التوجه إلى نادر وتناولنا عشاءنا سويا .. تكرر نفس السيناريو فى اليوم الثانى .. وفى اليوم الثالث .. حرصت على مصاحبة نادر إلى منزل خالى بعد قرار الإفراج عنه حيث أننى ضيف غير مرغوب فيه لدى زوجة نادر...

جاء ترحاب زوجة خالى الطيبه وحفاوتها بنا عظيما وإن كانت فرحتها بإبنها الوحيد أعظم وأكبر .. أثناء إحتساء شاى مابعد الغذاء وقبل قدوم زوجة نادر وأولاده .. توجهت إلى نادر وخالى وزوجته بكلمات وتنبيهات وتحذيرات ترتدى قناع مسئول بجهاز أمن الدوله .. مع إسترجاع ذكريات الطفوله وكيف كنت أحميه وأدافع عنه حين يتربص به بعض الأشقياء من أطفال العائله .. منبها ألا يتورط نادر فى أى حماقات تجعل من الدفاع عنه مهمه مستحيله .. وقبل الوداع أنفردت بخالى وسألته ضرورة التدخل لخطورة الأمر .. وجاء رد خالى باهتا سلبيا .. وأفاد انه قام بتربية نادر خير تربيه حتى أصبح من المتفوقين والملتزمين بأداء الصلوات فى حينها بالمسجد .. وإنه لا يستطيع عتاب أو توجيه اللوم لرجل ملتزم يقول الله ربى والإسلام دينى ومحمد صلعم رسولى .. ورغم إن خالى قدوه يحتذى بها إلا أن رده المائع أصابنى بشئ من عدم الإرتياح ..

أثناء المغادره إلتقيت بأولاد نادر وزوجته التى يحجب نقابها ملامح وجهها وإن كنت أعلمه جيدا من الصور المحفوظه لدينا ... مرت الأيام والشهور والسنون وتكرر الحدث أكثر من مره ومع مشاركة نادر وجبة العشاء أثناء إحتجازه كنت أستشعر مزيدا من

الغربه تتزايد مره بعد مره .. حتى صار شخص آخر غير إبن خالى الذى أعرفه .. حتى ملامح وجهه ونظراته الصافيه تم إستبدالها بعيون زائغه ونظرات يغلفها الجفاء والقسوه .... بعد فتره علمنا من مصادرنا أننى مستهدف بعد أن أباح أميرهم ومرشدهم دمى .. وقد إتخذنا جميع الإحتياطات للإيقاع بالمغتالين وتصفيتهم فى الحال مع حرصى على الإقامه فى منزل أختى بشكل مؤقت لتميز موقعه بسهولة رصد أى عناصر تحاول الإقتراب .. وبالفعل أخطرت أن هناك إثنين يتربصان بالمكان ولا أعلم كيف إهتدوا إليه .. وأستطاع رجال الأمن تصويرهم .. تبخرت الحيره .. وكم كانت صدمتى وإستيائى وغضبى حين تفحصت ملامح نادر على وجه أحدهم فى الصوره .. وأصدرت أوامر بالقبض عليهم والحرص على حياتهم دون تصفيتهم .. مع مراعاة إطلاق أعيره ناريه فى الهواء وغلق المنطقه بالكامل عقب إتمام العمليه ..

بعد إحتجازهم ومصادرة الأسلحه التى فى حيازتهم تم الأعلان عن مصرعى وإغتيالى والبحث عن الهاربين الفارين .. وبدأ إستجواب نادر ورفيقه خير إستجواب .. وخلال ساعتين علمنا أن هناك مخطط لإغتيال السيد الوزير والقاده أثناء مراسم جنازتى وأن السلاح سيتم تسريبه لمنفذى العمليه عبر ملابس بنات نادر

اللاتى لم يبلغن العاشره عمرا .. بالطبع تم التحفظ على زوجة نادر وإحباط العمليه والقبض على جميع أطرافها .. وقد أثمرت إستجوابات نادر التى أجريت هذه المره بمنأى عنى إلى تدفق معلومات وكشف عناصر كامنه تشغل كثير من المناصب فى جميع المؤسسات .. بما فيها وزارة الداخليه ذاتها .. فى مؤتمر صحفي يضم كل الوكالات العالميه تم ظهورى وإستعراض نجاحات الداخليه فى توجيه كثير من الضربات الإستباقيه إلى قيادات الإرهابيين .. والمدهش فى الأمر أن يكون خالى أول الزائرين إلى مكتبى بعد إنتهاء المؤتمر .. والغريب أن يأتى سؤاله عن نادر قبل تهنئته بسلامتى .. ولم يصدق خالى أن نادر كان بصدد محاولة إغتيالى .. وبعد توسلات خالى وشفاعة روح أمى رحمها الله .. إصطحبت خالى ووجبة عشاء شهيه فى زياره سريه لنادر .. والحقيقه أن أصابنا الذهول عند لقاءه فقد غابت تماما عنه ملامحه وصارت ملامح الإستجواب تحتل كل محياه ..

بعد عشاء شهى يحمل مذاق المراره .. إنصرفت وخالى .. وفى عينيه نظرات تحمل لوم وعتاب شديد اللهجه .. وإتهام صريح لزملائى بالقسوه والكفر .. تناسيت برهه إنه أخا لأمى ونظرت إليه بحده .. ياخال .. لولا القدر ولطف الله لصرت صريعا على يد

نادر والله أعلم عدد القتلى الذى تورط فى قتلهم .. لم تنبس شفتى خالى بكلمه .. وظللنا فى صمت حتى غادر عند منزله دون كلمه وداع ..

إجتمع جميع الأهل والأصدقاء لحضور جلسة محاكمة نادر داعين الله مراعاة الرفق فى النطق بالحكم .. وكان خالى الذى شاخ فجأه فى الصفوف الأماميه متأبطا زوجته الطيبه .. ورغم أننى القتيل الذى أنقذه القدر إلا أننى ساهمت بمبلغ كبير كحصه من أتعاب محامى جهبز لعله يستطيع تخفيف الحكم عليه .. بعد مرافعات ومناقشة الشهود .. تم تأجيل القضيه لإستكمال مناقشة باقى الشهود ...

عند مغادرة المحكمه وأثناء إلقاء نظرة وداع من جميع الحضور لنادر قبل صعوده لسيارة الترحيلات .. إذ بطلقات ناريه تطلقها أيادى خفيه ولحى إرهابيه تستهدف ظهر نادر ليقع قتيلا فى الحال .. ويصرخ الخال .. مين ده .. مين دول .. ملتهم إيه .. جنسهم إيه .. شكلهم إيه .. دينهم إيه ...

دين أبوهم .. إسمه إيه... ؟

دكتوراه من أمريكا

كانت طفولتى غاية فى الصخب والشقاوه .. شأن معظم أطفال الأحياء الشعبيه .. ورغم إنتمائى إلى حى بين السرايات الذى عجزت عن التوصل لأصل هذا المسمى المزيف .. فالحى بمنأى تام عن السرايات ولا يمت لها بصله .. ويعتبر إمتداد لحى الدقى .. وربما منح هذا اللقب لقربه المتناهى من جامعة فؤاد الأول .. جامعة القاهره أقدم جامعات القطر المصرى .. وإن لم تفلح هذه الجيره فى إضفاء صبغة الرقى على الحى .. ليصير أصغر أحياء الجيزه الشعبيه .. وكما كان شارع محمد على وعماد الدين .. يضج بالفنانين والمسارح وأهل الفن .. كان حى بين السرايات يكتظ بالمكتبات والطلاب المغتربين .. وكان حلمنا جميعا إجتياز الثانويه العامه والعبور إلى حرم الجامعه الذى نألف أسوارها جيدا .. ورغم دفئ الحى الشعبى إلا أن الأسره والعائله كانت تعجز تماما الإحتفاظ بأى خصوصيه

حيث تلتصق الدور والأبنيه كالبنيان المرصوص .. كما أن ضيق الشوارع كانت مصدر إزعاج أثناء لعب الكره الشراب...

بعد التخرج وإنهاء فترة التجنيد .. إستطعت العمل بإحدى المؤسسات الخاصه .. وبعد سنوات عديده .. فوجئت بجلبه شديده وزغاريد فى المنزل المقابل .. وأفاد أحد الجيران بعودة الدكتور رأفت من أمريكا .. د:رأفت .. كيف وأين ومتى حصل على الدكتوراه .. فقد كان أكثرنا بلاده .. حتى إنه عجز عن دخول الجامعه إلا زائرا حين كان يتمسح بأحدنا .. ومازلت أتذكر تعثره فى الدراسه .. وقد أنهى تعليمه بعد مشقه وحصل على شهادة إحدى المعاهد المتوسطه...

كانت زيارته أمر واجب حتمى يعد من مقدسات طقوس الأحياء الشعبيه ..وعليه تم اللقاء .. رأفت .. لا لم يعد رأفت .. بل د:رافت .. يرتدى حله أنيقه .. ورباطة عنق ذات ألوان زاهيه .. وهاف بوت ذو لون متفرد يجمع بين البنى والنبيتى ..ويمسك بغليون يتجول بين فمه وأصابعه .. ويزين معصمه ساعه يفوق قطرها ساعة البيج بن .. ويتكلم الإنجليزيه بطلاقه .. ويتحدث بنكهه أمريكيه تحمل بصمات الكاو بوى...

طالت الزياره .. بل وتعددت الزيارات .. وكم كان حديثه ممتعا حين يمزج كلامه بين العربيه والإنجليزيه .. وكيف إستطاع دراسة الكمبيوتر والنبوغ فيه .. وكيف حصل على الدكتوراه وأصبح دكتور متفوقا على الجميع .. يرتاده الأمريكان بل والعديد من الجنسيات الأخرى ..

مرت أجازة رأفت سريعا وحرصت ان أكون أحد جموع المودعين بالمطار .. عدت إلى منزلى .. يراودنى حلم السفر .. وقد حرصت على إرتداء الساعه الديجيتال التى أهدانى إياها د: رافت .. كما حرصت على الإحتفاظ بكارت يحمل عنوان عمله فى مكان أمين....

بعد مرور سنوات .. إستطعت إدخار بعض المال .. إبتعت تذكرة سفر إلى نيويورك حيث يعمل د:رافت .. وتم تحويل الباقى إلى دولارات .. وإستطعت الحصول على تأشيرة السفر .. وبالفعل توجهت إلى المطار فى ظل تظاهره بين سرارياتيه تضم جميع الأهل والأصدقاء....

هبطت الطائره بعد رحله طويله فى مطار جي إف كي ببلاد الأمريكان .. ورغم عدم إتزانى نظرا للإجهاد وفروق التوقيت إلا

أننى استجمعت كل نشاطى وهمتى سعيا للوصول إلى عنوان د:رافت .. جارى العزيز وملجئى فى بلاد الغربه .. كان العنوان يقبع فى أشهر ميادين مانهاتن .. ورغم الشوارع الشاسعه وأبراج ناطحات السحاب المبهره .. إلا أن الإنبهار والفرجه والمتعه وكل شئ تم تأجيله لحين لقاء د:رافت...

جائت فرحتى عظيمه بسهولة ويسر التوصل للمكان .. وجائت مصيبتى كبيره حيث لم يستدل أحدهم على د:رافت صاحب الكارت الذى يحمل العنوان .. بل لا يوجد أى ملامح لشركة كمبيوتر فى هذا العنوان .. شعرت فجأه بالإجهاد الشديد وتثاقلت قدماى وكأنني أتيت سيرا على الأقدام .. تذكرت دوخة الطلبه المغتربين فى البحث عن مكان مبيت يقضون فيه ليلتهم الأولى فى ببن السرايات .. وأخيرا توصلت إلى أحد الأسبان الأمريكان الذى قادنى إلى منزل متواضع لا يحمل من تكنولوجيا العصر سوى التكييف المركزى .. وعلمت إنه يقطن مع أسرته ويقوم بتأجير إحدى الغرف نظرا لغلاء المعيشه بمانهاتن.....

إستيقظت بعد ساعات نوم طويله .. وبعد تناول بعض قراقيش أعدتها أمى الطيبه خصيصا لدكتور رأفت .. غادرت مع حرصى على غلق حقيبتى والإحتفاظ بدولاراتى وجواز سفرى مع الإستعانه

بالأسبوأميركان لتدوين العنوان بشكل تفصيلى .. ولم أنسى كارت د:رافت .. ربما إستطعت التوصل إليه فى محاوله أخرى للبحث عنه...

للأسف بائت المحاوله الثانيه بالفشل .. وبدأت رحلة البحث عن جوب .. عمل .. إسترعى إنتباهى ساعة يدى الديجيتال معروضه على الرصيف مقابل دولار ..

وبعد سعى إستطعت الإلتحاق للعمل بارت تايم لمدة ساعتين بأحد المطاعم أثناء ساعات الذروه .. مقابل ستة دولارات ووجبه .. وقد أشتمل نظامى الغذائى اليومى على قراقيش أمى وهذه الوجبه ... لم يتيسر الحصول على عمل كامل الساعات حيث إنه يتطلب تصريح عمل وإقامه ... كما فشلت تماما كل المحاولات الدراسيه حيث تتطلب معادله للشهاده وإختبار لغه ومصاريف باهظه...

بدأت التفكير فى العوده لأرض الوطن .. خاصة أن التأشيره قاربت على الإنتهاء .. وكان لابد من إنتقاء بعض الهدايا للأهل والأصدقاء ..

بعد يوم شاق من فرز كل ماهو معروض على الرصيف وأكوام الملابس المخفضه فى محلات الكون واى .. عمر أفندى أمريكا

.. وساعات طويله من اللف والسعى .. كان لا بد من إنتهاك النظـــام الغـــذائى .. حيـــث شـــعرت بـــالجوع الشـــديد .. ساقتنى قدماى إلى عربه تتربع إحدى أرصفة الميدان المشهور تقوم بتسويق الوجبات الشهيه السريعه .. إسترعى إنتباهى وجودها أمام عنوان د:رافت .. وعندما دنوت وأصبحت أكثر قربا .. تسمرت قدماى .. فالرجل الذى يقبع خلف العربه تحمل ملامح جبهته .. ملامح رافت صديق بين السرايات بدون حلته وغليونه وألوان رباطة العنق الزاهية الألوان .. إندهشت طويلا .. طوييييييلا .... وتبددت بعض إندهاشاتى حين أيقنت صحة العنوان .. وزالت بقية الإندهاشات حين لمحت لافته تعلو العربه تحمل إسم .. الدكتور .... وبالفعل صدق الدكتور حين أشار إلى كثرة رواده من الأمريكان والجنسيات الأخرى..

أدركت صحة الإسم والعنوان .. ولكن فات رأفت التنويه ان هذا هو عنوانه المسائى .. حيث أن العربه لا تعمل إلا فى الفترات المسائيه ..

وقفت بعيدا حريصا على إخفاء وجهى .. ثم بدأت فى الإنصراف دون البوح له بما تم الكشف عنه وقد زال تماما إحساسى بالجوع ...

فى اليوم التالى توجهت إلى المطار ناشدا أرض الوطن .. وعندما حلقت الطائره فى السماء .. تملقت كارت رأفت قبل تمزيقه .. تبسمت إبتسامه عريضه .. وقررت التستر عليه فلابد إنه قاسى وكافح كثييرا ليشق طريقه فى بلاد الأمريكان .. وعاهدت الله حفظ سره وعلى أن تظل صورته لدى أهالى بين السرايات .. دكتور رأفت .....

دكتوراه .. من .. أمريكا.....

قيصرية خمار

أمام أحد قاعات محكمة الأسره .. صاح الحاجب .. نهى عبد المـــنعم الشـــرنوبى وأشـــرف حســـين الســـرجاني .. ولجنا داخل القاعه فى صحبة بعض الشهود وفى كنف المحامى .. وبناء على تعليمات سيادة القاضى تصدرت أنا وأشرف المشهد فى الصف الأمامى .. وبعد تفحص أوراق الدعوى بادرنى السيد القاضـــى بالســـؤال .. إنتـــى عـــايزه تخلعـــى جـــوزك ؟ .. أيوه يافندم ...

إنتى عارفه إنك كده بتتنازلى عن كل حقوقك الشرعيه؟ ..

أيوه يافندم ...

عندكم أولاد ؟ ....

ثلاثه أصغرهم أربعة عشر سنه .. يعنى كمان ليس لك حق الحضانه فى شقة الزوجيه .. أنا شايفك محجبه وترتدى الخمار وبالقطع تعلمين أن أبغض الحلال عند الله الطلاق .. مفيش فرصه تراجعى نفسك ؟ .. مفيش ذكرى حلوه وأيام سعيده تشفع له عندك ؟ .. ..

أكون جحوده لو أنكرت ذلك يافندم . . بل بالعكس .. فقد تمت خطبتنا بعد قصة حب جميله أنتهت بزواجنا بعد أن ألتزمت بسداد نصف ثمن وتكاليف عش الزوجيه للأسراع من إتمام عقد القران وكانت حياتنا مشاركه تامه بيننا .. و سعادتنا محل غيرة العاشقين وحسد الحاقدين .. وكان إرتياد النادى أو أى متنزه آخر من طقوس عطلة نهاية الأسبوع .. كما كانت شواطئنا الجذابه خير شاهد على رحلاتنا الجميله وأوقاتنا الرائعه فى أجازتنا الصيفيه ....

بدأ القلق يهدد سعادتنا منذ حوالى خمس سنوات حين طالبنى أشرف بضرورة التحجب .. ولم أمانع إسوة بمعظم الصديقات والزميلات رغم أقتناعى الكامل بأن السمو الأخلاقى يأتى قبل أى رداء .. وللأسف تزامن الإنحلال الأخلاقى مع بعض قشور المظاهر الدينيه جعل من الحجاب مجرد تقليد يصبغ مرتديه بصبغة الموضه .. جاء إلتزامى بالحجاب تقربا إلى الله وإذعانا لحب أشرف وحقه فى الغيره على ...

لم يمضى وقت طويل حتى طالبنى زوجى بعدم مصافحة الرجال وعدم الإنفراد بأحدهم سواء فى التاكسي أو مكاتب الشركه التى أعمل بها .. رغم عدم ترحابى إلا أننى إضطررت إلى مسايرته .. فلابد أن تفاقم الغيره خير مدلول على زيادة الحب والعشق .. ..

لم يكن هذا هو طلبه الأخير فقد إستفحلت الغيره المرضيه من أشرف أو هكذا توهمت وقد فاجئنى بصندوق يحوى هديه فى لمحه كدت أنساها حيث لا تسعفنى ذاكرتى بآخر مره إستقبلت فيها هداياه .. وقد زالت دهشتى عند فتح الصندوق الذى يحتضن داخله رداء أسود .. خمااار .. فاقت صدمتى فرحتى بالهديه وبعد شد وجذب وجدال عنيف اللهجه إنتهى بلطمه عنيفه على وجهى .. أو بمعنى أصح إبتدى بلطمه حيث توالت اللطمات بعد ذلك مع كل إختلاف فى وجهات النظر .. وكانت الطامه الكبرى حين حاصرنى بين إحدى إختيارين .. إما الخمار .. أو الطلاق .. ورغم إتفاق عقلى وقلبى وجوارحى على ضرورة الطلاق إلا أن أمومتى حالت دون إتخاذ القرار .. وفضلت أن أبقى سجينه فى زنزانه تجمعنى مع أولادى على أن أعيش حره بمنأى عنهم .. هذا وأصبحت مغادرة المنزل محظوره إلا بصحبته بعد ان أجبرنى على ترك العمل والإحجام عن أى زيارات للأهل أو الجيران .. وقد نال الحظر منزل والداى وأخواته السافرات .. وأشرت إلى إحداهن ضمن الشهود فى الصف الثانى ...

قاطعنا القاضى مستفسرا .. إذاً ماذا جد لتطلبين الخلع ؟ ..
فوجئت به منذ حوالى سنه يخبرنى إنه مقدم على الزواج من أخرى .. لم أبالى ولم أعترض فقد إنتحرت مشاعرى وأغتيلت معنوياتى

منذ زمن بعيد ولا أبغى من الحياه سوى الأطمئنان على أولادى الثلاثه ..

حاول أشرف التعليق ومقاطعة الزوجه .. إلا إنه عاد إلى صمته حين أشار إليه القاضى بإلتزام الصمت .. ..

توجه القاضى بسؤال قاطع إلى الزوجه .. ماالذى جعلك تطالبين بالخلع الآن ؟ ..

سيدى القاضى .. لقد تزوج زوجى بالثالثه .. ولا أبالى .. إلا إنه إستقدمها لتعيش معنا فى نفس المنزل .. وهذا ما لا أطيقه أو أسمح به ...

هل لديك أقوال أخرى ؟ ..

نعم .. أريد حريتى وأنا متنازله عن جميع مستحقاتى .. وعن كل شئ .. كل شئ ....

نظر القاضى إلى أشرف متفحصا زيه الإسلامى وبنطاله الذى يكشف عن كامل جوربه وتوجه إليه ببعض الأسئله .. هل تزوجت على زوجتك ؟ ..

على سنة الله ورسوله .. وهذا شرع الله ... مثنى وثلاث ورباع

هل إستقدمت زوجتك الثالثه لتقيم معكم فى منزل الزوجيه ؟ ..

نعم فهى سورية الجنسيه ولا يوجد لها محل إقامه .. ألا يجب ستر المسلمات المحصنات ..

هل تكرر ضربكم للزوجه أكثر من مره ؟ ..
لم يكن ضربا مبرحا .. فقط كنت أتعامل معها طبقا للشرع .. فقد جاء فى آيات الله الكريم .. واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع وأضربوهن .. صدق الله العظيم ....
هل شقة الزوجيه إيجار أم تمليك ؟ .. تمليك يافندم ...
هل ما جاء على لسان زوجتك بسداد نصف تكاليف منزل الزوجيه صحيح ؟ ولا تنسى إنك تحت القسم ....
نعم حصل ولكن الشقه بإسمى وكذلك عداد الكهرباء والغاز والتليفون ..
هل كانت زوجتك تنفق راتبها على مستلزمات المنزل ؟ ..
الزوجه ومالها لبعلها ....
هل لديك أقوال أخرى ؟ ..
نعم فأنا متمسك بزوجتى ولا أريد الإنفصال عنها ...
لم ينتظر القاضى لسماع الشهود وأشار إلى الكاتب لتدوين الحكم .. قررنا نحن قاضى محكمة الأسره فى يومه وساعته .. رفض دعوى الخلع المرفوعه من نهى عبد المنعم الشرنوبى ضد .....
لم تنتظر نهى إستكمال النطق بالحكم وصاحت صيحه سمع دويها سكان محافظات مصر السبع وعشرون .. إلا أن القاضى ألزمها الصمت بحزم وحسم .. وأستطرد .. قررنا رفض دعوى

الخلع المرفوعه من نهى عبد المنعم الشرنوبى ضد أشرف حسين السرجانى .. كما رأت المحكمه تطليقها من زوجها طلقه بائنه مع إحتفاظها بجميع حقوقها الشرعيه .. كما قررنا أحقيتها فى ملكية نصف شقة الزوجيه طبقا لما أقره الزوج بقيامها سداد نصف ثمنها ويعد هذا الحكم سندا للملكيه ..

هتف الزوج مستنكرا .. هذا كفر .. هذا كفر ..

عقب القاضى بلهجه حاسمه .. كلمه زياده وأحكم بحبسك ..

ونصيحه منى .. عليك بتدبر القرآن ومراجعة منهجك الدينى .. والسيره النبويه .. رفعت الجلسه ....

هتف الجميع .. يحيا العدل .. يحيا العدل ...

إنهمرت دموع نهى فيما يشبه الخلاص الذى يسبق الولاده .. وقامت بشق الخمار .. محتفظه بحجابها ووقارها .. لتستقبل مولود آدمى يبعث من جديد .. مولود يدعو .. نهى عبد المنعم الشرنوبى ....

قبلة الحياه

مع نسيم فجر صيف يحمل طيفه رائحة غيطان الريف فى أواخر الأربعينات.. إستيقظت من نومى متأهبا للتوضأ لأداء صلاة الفجر .. وبدأت زوجتى أم سالم فى إيقاظ ابنائى الثلاثه وابنتى بتعه آخر بناتى .. وخلال فترة وجيزه إنطلقت أنا وابنائى بعد سحب بهائمنا من الزريبه متجهين إلى الغيط .. ورغم ظلمة الطريق ورغم مايشبه المظاهره فى توجه جميع المزارعين إلى حقولهم فى نفس الوقت إلا ان البهائم كانت تقود كل إلى غيطه الذى لم تخطئه قط .. إعتادت بتعه وقت الضحى إحضار ماتيسر من زاد نقتات به أثناء فترة الراحه وغالبا مايتباين بين الجبن والباذنجان والعيش المشطوح .. هذا بالإضافه إلى ماتيسر من ثمار الأرض من قوطه وخيار وجعديد .. وكما ألفنا ان نبدأ يومنا بمظاهره ألفنا أيضا إنهاؤه بأخرى حين تقود البهائم كل إلى داره عند غروب الشمس .. ليبدأ الأطفال فترة السمر بأداء بعض الألعاب البدائيه مثل السبع طوبات و عسكر وحراميه ولعبه تسمي سرح كشك وذلك كله فى محيط الكلوبات المضاءه على الطريق .. بعد سويعات محدوده يتوجه كل إلى داره حيث تجتمع الأسره على الطبليه لتناول الوجبه الأساسيه مع مراعاة تخصيص

الصفوف الأماميه للذكور دون الأناث .. يحرص الجميع على النوم مبكرا للإستيقاظ والتوجه إلى الغيط مبكرا .. هذا هو يومنا المعتاد فى الريف بإستثناء بعض الأيام التى نحتفل فيها بعرس هنا أو عزاء هناك .. وبإستثناء يومى الخميس والجمعه حيث يحرص سعادة البيه الدكتور صاحب العزبه على الحضور من القاهره لمباشرة الأرض ومباشرة عيادته التى يتقاضى فيها رسوم رمزيه إسهاما منه فى تطبيب اهالي قريته .. ومن فضل ربى على وعلى سالم حضور البيه الدكتور إلى الغيط بعد صلاة الجمعه .. حيث فوجئنا بصرخات وصيحات إستغاثه تأتينا من جهة الترعه .. وإذ بهذا البيه الوقور ينتفض ويعدو ليكون أول الواصلين ليجد ولدى سالم غريقا يلاطم الموت ..

يلتقط البيه سالم من ايدى الجميع ويغرس ركبته فى بطنه ويضغط بشده على الظهر حتى يفرغ المياه من جوفه .. ثم فوجئنا بالبيه يلصق فمه بفم سالم وينفخ فيه بالهواء فيما يعرف بقبلة الحياه .. ظل الدكتور يقوم بذلك بشكل متكرر حتى عادت الحياه إلى سالم بمعجزه وفضل من الله .....

فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ خرج الجميع لأول مره فى مظاهره لا تضم البهائم متجهين إلى دوار العمده حيث يوجد جهاز راديو

لإستبيان ماتم تداوله من إنقلاب الجيش على الملك .. وتتوالى الأحداث ويتولى مجلس الثوره الحكم بقيادة اللواء محمد نجيب ويكون من أولى قراراته إستقطاع خمس فدادين من أراضي البيه وتخصيصها للعبد لله .. تنازل البيه الدكتور عن الفدادين الخمس بنفس راضيه وعن طيب خاطر وأصبحت أباشر أرض البيه والخمس فدادين .. آن الأوان لتزويج بتعه التى بلغت سن الرابعة عشر ولكن حدث متغير كبير حيث حضر البيه العرس كضيف وأكتفى بتقديم النقطه للعروس رغم إنه كان القائم بتجهيز أخواتها الثلاث عند زواجهن وكان المتكفل بحفل عرسهن .... بفضل مجانية التعليم وإرشادات ووساطات البيه الدكتور أتم الأبناء التعليم وحصلوا على البكالوريا وألحق سالم بكلية الحقوق وتبعه فتحى بطب بيطري ثم بلال بكلية الهندسه .. مرت الأيام وأعتدت اللجوء إلى البيه الدكتور لإستشارته فى جميع شئونى كما إعتدت اللجوء إليه لمداواتى أنا وجميع أهل بيتى .. فوجئت لأول مره بغضب عريم للبيه الدكتور وكنت اظن ان حلمه كنهر النيل ينهل منه الجميع دون تزمر وتذكرت ان النيل يغضب أحيانا ويزيد فيضانه .. أدركت كيف كان غضب البيه الدكتور حليما حين علمت ان ابنى سالم قام برفع دعوى ضد البيه لعدم قيامه بالتأمين علينا كمزارعين .. بعد مفاوضات بين سالم وبين محامي البيه ..

تم الاتفاق على التنازل عن الدعوى مقابل مبلغ مالى كبير .. فرح سالم واخوانه بالمبلغ وتم شراء ماكينة رى جديده بإشراف الباشمهندس بلال .. كما تم شراء جاموسه بمعرفة دكتور فتحى .. وذلك كله سعيا لخدمة الخمس فدادين .. اما باقى الأرض فقد قام البيه ببيعها كما تم بيع المواشي وتم إغلاق العياده لأجل غير مسمى .. مرت الأيام والسنون وأصاب ماكينة الرى صينية الصنع عطل تكنولوجي لم يفلح الباشمهندس فى إصلاحه وأصبحت قطعة حديد خرده لا تصلح لشئ .. أيام معدودات .. وتصاب الجاموسه بتسمم حيث أكلت من الأرض المشبعه بالكيماوى المسرطن .. ولم يفلح دكتور فتحى فى مداواتها او ذبحها للإستفادة من لحمها .. توجهت فورى إلى الأرض ووجدتها تلفظ انفاسها الأخيره .. تذكرت البيه الدكتور وتذكرت قبلة الحياه .. سجدت وإستجمعت كل هواء القريه فى صدرى العليل لأمنح أرضى قبلة الحياه .. ولا ادرى هل اسلمت روحى إلى الله أم فلحت فى إعادة ارضى الى الحياه .. عزيزى القارئ أستأذنك فى تكملة الروايه حيث ربما تطول سجدتى .. ويمكنكم الإستعانه باولادى الثلاث .. سالم وفتحى وبلال .. العنوان ..قرية البتانون .. محافظة المنوفيه .. مصر المحروسة بإذن الله ...

مواطن درجه تانيه

مرت السنون سريعا ونال الشيب منى .. وهأنذا ألامس رمال شاطئ الشيخوخه بعد طول سباحه وملاطمه لأمواج بحر العمل التى دامت أكثر من خمس وثلاثون عام .. ولا أخفيكم سرا .. إحساسى بقلق الفراغ والوحده بعد التقاعد ولاسيما أننى لست من هواة مشاهدة التلفاز أو الجلوس على المقاهى .. وقد إستطعت إجتياز مرحله المعاش بثبات وهدوء حيث أننى لدى من الهوايات والرياضات ما يفيض عن ساعات يومى بالإضافه إلى تعدد لقاءات الأحبه والأصدقاء..

كانت المشكله الأكبر عندما تبعتنى زوجتى الحبيبه بعد سنوات قليله إلى عالم المعاشات .. وبدأت زوجتى مرحلة العصبيه والتربص بكل شئ أحيانا عن حق وغالبا بدون أدنى حق .. حتى أن معدل إستهلاك الشغالات قد زاد وتضاعف فقد بدلنا ثلاثه فى أقل من شهرين .. وأصبح الإنفعال على البواب والمكوجى من الطقوس اليوميه .. بالطبع كنت صاحب النصيب الأكبر من شحنات التوتر التى لا تنتهى .. تفاقمت الخلافات وزاد الصدع فى جدار علاقتنا الزوجيه .. وللأسف الشديد إنزلق ولدنا الوحيد فى مستنقع الخلافات .. وكان

دائم الإنحياز لأمه .. وإننى أنا المخطئ والمقصر دائما .. ورغم غضبى أحيانا إلا أن إنحيازه لأمه كان محل تقدير وإعجاب .. فقد أوصانا الرسول الكريم صلعم على الأم ثلاثا ليأتي الأب فى المرتبه الرابعه .. والسيد المسيح عليه السلام ولد لأم دون أب .. حتى آيات القرآن ذكرت لهفة أم موسى وخوفها عليه دون التطرق إلى أبو موسى عليه السلام....

لم يمر العام إلا وقد أصابنى ضغط عصبى مما أضطرنى إلى المواظبه على الدواء بشكل يومى مع تحذيرات شديدة اللهجه بعدم الإنفعال ... لم أجد مفر مع ولدى وزوجتى التى شاركتنى الضغط الإنفعالى وإن زادت عليه القولون العصبى .. آثرت السلامه والإنسحاب إلى شقتى القديمه التى تحتاج إلى تجديدات شامله لإحياء ملامح السكنى.....

أصبحت مقيما بالشقه القديمه منتسبا إلى شقة الزوجيه غير ملتزم بنسبة حضور ...

بعد شهور .. حان موعد إكتمال فرحتى بزواج إبنى الوحيد والذى قرر أن يقيم مع أمه هو وعروسته الجميله.....

لم تمر شهور إلا وإستيقظت على صوت جرس الباب .. وإذ بفلذتى .. إبنى الحبيب يقبلنى ويلقى برأسه فى أحضانى مرددا .. أنا آسف يابابا .. أنا آسف .. أنا غلطان .. أعتذر وبشده...

هدأت من روعه .. وبعد الإنتهاء من تناول الفطور الذى أعددناه سويا .. بدأ فى سرد المشاكل والخلافات التى نشبت بين الأم والعروس والتى بدأت شظى لهبها يتسرب إليه يوم بعد يوم .. وأن حياته أصبحت جحيم ..

لم أمهله الفرصه كامله للإستماع إلى تفاصيل المشاكل .. فأنا أعلمها مسبقا .. وبعد نظرات مشبعه بالكثير من الشرود والحيره ..
فاجئنى إبنى بالإستئذان للإنتقال للإقامه معى هو وعروسه ... صمت كثيرا .. وصمت هو مترقبا توابع الإستئذان.....

بعد إعداد كوبين من الشاى إصطحبته إلى التراس .. مكانى المفضل فى فصل الشتاء أثناء شمس الظهيره .. وقبل إجابته .. بدأت فى سرد قصتى وتجربتى مع الحياه .. إسمعنى يابنى وإنصت إلى جيدا....

عندما رحلت أمى شعرت بوحده موحشه .. فالأم لا تعوض .. وبعد الزواج حاولت أن أستعوض مع أمك هذا الإحساس .. وقضينا سويا مايقارب السنتان وكانت من أجمل فترات العمر .. وبعد تشريفك أصبحت أنت شغلها الشاغل وصرت أنا مواطن من الدرجه الثانيه .. وبعد محاولات مضنيه إستطعت إقناع جدتك رحمة الله عليها بالإقامه معنا لاسيما أن أمك كما تعلم هى إبنتها الوحيده وإن جدتك هى جميع أهلها بعد رحيل جدك منذ زمن بعيد ..

كانت فرحتى كبيره بقدوم جدتك سعيا لإستعادة درجتى الأولى كمواطن .. ولكن قد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .. وليس كل مايتمناه المرء يدركه .. فقد أصبحت جدتك ترعاك وتراعى أمك وصرت أنا فى المرتبه الثالثه .. فهذا الطعام أعدته خصيصا لك .. وهذه الحلوى تحبها أمك .. وتلك المشويات تخصكما وحدكما .. فهى منزوعة الدسم .. والسلطه يجب مزجها بالخل الذى تفضله الزوجه .. رغم تبرمى أحيانا..

إرتضيت الأمر الواقع حرصا على سعادتك وسعيا لراحة أمك ومرحبا بمؤانسة جدتك التى كان لها الفضل الأكبر فى رعايتك وتربيتك .. وعندما لبت جدتك نداء السماء وقد صرت انت رجل يافع .. أوهمتنى ظنونى بسناح الفرصه لإسترداد درجة موطنى ..

ولكن هيهات فقد تركت جدتك فراغ منزلى ومهام بيتيه كان لى النصيب الأعظم منها وأصبحت مواطن سبنسه ... مواطن غير كامل الأهليه ...

وحين قررت المعيشه بمفردى لم أفلح فى إسترداد درجة أهليتى .. وبعيدا عنك وعن أمك لا يوجد وطن .. وتصبح فاقدا للأهليه..

بعد الإنتهاء من إحتساء الشاى .. بدأت فى حزم حقائبى .. إستوقفنى إبنى وحبيبى مستفسرا .. إلى أين ياأبتاه ؟ .. يابنى لا يصح أن ندع أمك تعيش بمفردها .. إنى ذاهب إليها بعد التزود بكميه كافيه من الصيدليه بدواء الضغط .. وسنظل يناطح كلانا الآخر حتى أمر الترحيل من البلاد وملاقاة رب العباد....

يابنى إحرص دائما على مراعاة أمك وإسترضائها .. وأعلم أن الجنه تحت أقدامها .. وإن حملتها يوما كرها فقد حملتك دائما طوعا ..

يابنى عدنى ألا أسمع شكواك مره أخرى .. وأن تعدل بينها وبين زوجتك .. وأن يكون عدلك بحق ربنا .. قائم على الإنحياز التام والدائم لأمك .. كما أوصيك بحماتك خيرا...

يابنى تلك أيامك الهنيه .. فقد تم تجديد المنزل بالكامل .. فلتهنأ بـه مـع عروستك الجميلـه ولتملؤنـه بهجـه وسـعاده .. وأطفـال .. يـابنى كـن .. كريمـا جـوادا .. بشوشـا مـذواقا .. حنونـا معطائـا .. ولكن أعلم جيدا أن أى تنازل منك اليوم .. سيصير حق مكتسب غـــدا ولـــن يمكنـــك إســـترداده مـــره أخـــرى .. يـابنى .. حـذارى أن ترتضـى يومـا أن تعيش فـى بيتك .. مـواطن غيـر كامـل الأهليـه .. .. عاهـدنى ألا ترصـدك يومـا جـدران هـذا المنزل .. مواطن .. مواطن درجه تانيه.....

كرسى هزاز

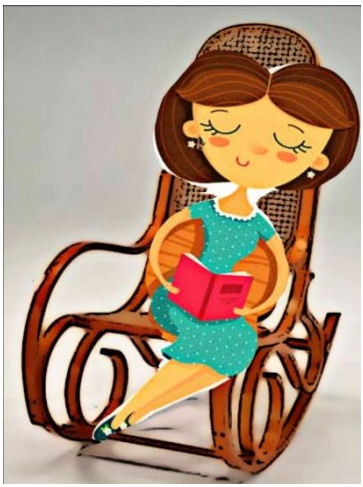

رغم تنوع تجاربى العاطفيه .. ورغم عدم قناعاتى أو إيمانى الكامل بمشروع الزواج .. إلا إنه حين دق العشق بابى .. وجدتنى مقترنا بزوجتى الجميله .. مسيحية الديانه .. ولما لا .. والرسول صلعم قد تزوج من ماريه القبطيه وكانت أم إبنه إبراهيم .... ولما لا وقائمة أصدقاء المدرسه وزملاء الجامعه لم تخلو يوما من أسماء مسيحيه..

وإن كنت مازلت أتجرع ذكريات أليمه تعكس مقاطعة أهلها التى تفوق مقاطعة السلع الدنماركيه على إثر رسومات الإساءة للرسول الكريم صلعم .. إلا أننى مازلت أكن كل التقدير والإجلال لحماتى العزيزه .. كما أنني مازلت أحفظ كلماتها التى ما زالت تملأ أذناى بل إتخذت منها ناموسا ونبراسا أسترشد به طوال حياتى .. حيث قالت .. إن ما يجمعه الرب .. لا يفرقه إنسان ... وقد زاد على

ماحباها الله من حكمه .. جود وكرم حين رحبت بنا ضيوفا نقيم معها إلى أن ننتهى من تجهيز مسكننا الفاخر...

بعد عام ونيف .. إنتهيت من بناء فيلا جميله بأحد الأحياء الراقيه فى المدن الجديده .. وحرصت على تخصيص جناح خاص لحماتى بالدور الأرضى .. فهى لا تقوى على تناوب الصعود والهبوط ..

رفضت حماتى فى بادئ الأمر .. ولكنها رضخت أخيرا لتوسلاتى وتوسلات وحيدتها وكل أهلها بعد المقاطعه .. ولم نكن لنسمح ببقائها وحدها .. خاصة وقد رحل الأب منذ زمن بعيد...

كانت فرحة زوجتى بالفيلا كبيره .. وإن كانت الفرحه الأعظم حين أهديتها عقد الملكيه محرر بإسمها .. عشنا ثلاثيتنا عيشه هنيه .. ولم تفارقنا الأم يوما .. حتى مع سفريات المصيف كانت لنا خير صحبه .. .. وبدأنا إستقبال أبنائنا الثلاث الذين زادوا المكان بهجه .. وزادوا من مسئوليات الجده التى حملت أمانة رعايتهم وتربيتهم .. وأشهد إنها كانت خير الناس حملا للأمانة...

توطدت صداقتى مع حماتى حتى صار إرتباطى بها مصدر غيرة زوجتى .. فكانت تلقبنى دائما بالإبن البكرى .. وكانت بمثابة أم ثانيه .. أما الأم الأولى فلها مكانتها التى لا يباريها فيها أحد..

مرت الأيام والشهور والسنون .. وبدأ العمر يخط مزيد من الرتوش فى وجه أمى الثانيه .. وبدأ الوهن ينال من الجسد والعظام .. وسارت الحاله الصحيه من سئ لأسوأ .. وأضطررنا إلى إدخالها المستشفى أكثر من مره .. وكنت حريص دائما على مجاورتها وملازمتها .. وكانت هذه هى الفرصه الأولى للتعرف على بعض زوارها من الأهل والأصدقاء ..

لم تطول أيام المرض .. فقد إنطفأت الشمعه وصعدت روح أمى إلى ملكوت السماء .. وإجتمع جميع الأهل والأصدقاء فى حفل وداع مهيب بالكنيسه التى لم تنقطع عنها يوما....

مرت الأيام حزينه .. وفقد منزلنا أحد أعمدته .. وتمنيت وجود مخرج علوى للفيلا حتى أتفادى أطلال حجرتها .. وصدى حواراتى معها...

رغم إنها سنة الحياه .. وكلنا إلى زوال .. إلا إنه للأسف الشديد .. بدى حزن زوجتى مبالغا فيه .. وإمتنعت عن الطعام وبدأ وزنها

يتلاشى .. وكإنها جنين إنقطع عنه الحبل السرى .. وإضطررنا إلى الإستعانه بالمحاليل أكثر من مره .. ورغم مرضها ووهنها .. إلا إنها أصرت صحبتنا إلى المدفن فى يوم الأربعين..

كانت الفاجعه حين أغمضت زوحتى عيناها ..وأبت العوده معنا .. وآثرت مؤانسة أمها فى رحلتها .. فقد فاضت روحها الطاهره الشفافه إلى بارئها ....

زلزلت الأرض زلزالها .. وماجت السماء بأعاصيرها .. وفجرت الأمطار دموعها .. ونحب الشجر والطير لفراقها...

عدت أنا وأبنائى نجرجر أقدامنا .. تسبح مقلانا فى بحار دموعنا .. أصبحت الأحزان تحاصرنا صعودا وهبوطا .. عرضا وطولا .. حتى الجدران والستائر والتحف باتت باكيه .. ترثى فراق شريكة العمر .. وتنعى عمود حياتى ومركز ثقل سعادتى ... وبات نحيب النجف يلقى بعبراته منديا خدود السجاد التى ظلت تلاطم ارضيات الڤيلا ليالى طويله..

زادت وحدتى .. وتأسدت وحشتى .. حين إنصرف أبنائى الثلاثه .. كل إلى زوجته ومنزله .. وصرت وحيدا بالفيلا .. لا حيلة لى

إلا مراجعة بعض سيناريوهات الماضى .. والخوض فى عالم الذكريات...

بعد مرور عدة شهور من الوحده .. وإمتصاص القليل من الصدمه .. لملمت بقايا أشلائى .. مصطحبا أبنائى .. قاصدين المحكمه .. مرتديين حلة أحزاننا .. وأمام القاضى .. وقفت فى ظل أبنائى ناشدا الإنتهاء من إجراءات إعلام الوراثه .. تفحص الرجل البطاقات وراجع كل الأوراق .. ثم صمت برهه .. ونظر إلينا مندهشا .. هى المرحومه مسيحيه ... وجاء ردنا بالإيجاب .. تملقنا الرجل وطال صمته قبل أن يلقى إلينا بصاعقة .. إنه لا قبل لنا بميراثها .. حيث أن القانون يحظر إنتقال الميراث بين الذمم الدينيه المختلفه..

محاولا الإستيعاب .. أشرت إلى السيد القاضى إنها زوجتى .. وهؤلاء أبناؤها .. .. يرد القاضى بصوت خافت .. أعلم ذلك جيدا ..

سيدى القاضى .. إنها وحيده ويتيمة الأبوبين .. القاضى بنبرة حاده .. القانون لا يبيح إنتقال الميراث من مسيحى لمسلم .. وكذلك لا حق لها فى ميراث أحدكم .. أمد الله فى عمركم..

عدنا إلى أدراكنا تغلف الصدمه جميع كياناتنا .. يحدث كل منى نفسه .. مع عجزنا التام عن محادثة بعضنا البعض .. إنصرف الجميع .. كل إلى مقره ..

محاولا إستيعاب الأمر وقضاء الله وقدره .. توجهت إلى حمام منزلى مستعينا بمياه دش بارده ترطب من بعض حرارة الصدمه .. وتعادل نسبيا ضغط دمى المرتفع ..

لم أجد سوى كلبى الأمين .. طارمو .. أحدثه وأشكى له همى .. فالفيلا والسياره وشاليه الساحل الشمالى .. جميعهم بإسم المرحومه التى ستبقى هى أغلى المفقودات...

لم تمضى أسابيع إلا وإستقبلت إستغاثه تليفونيه من خفير المنطقه يفيد بوجود رهط من الناس يحاول إقتحام الفيلا .. مدعمين بأمين شرطه يشهر قرار تمكينهم من ميراث المرحومه .. ولم يعوقهم سوى طارمو الأمين الذى حمل لافتة ممنوع الدخول أو الأقتراب..

لم تكتمل الساعه .. إلا وتحول محيط الفيلا إلى ساحه تضمنى وأبنائى وأخوانى وأصدقائي وجيرانى والخفير وطارمو .. وكذلك فريق الخصم الذى يقوده أمين الشرطه وقرار التمكين .... وأخيرا حضر حكم المباراه متمثلا فى محامى العائله الذى أطلع على

القرار الصادر من المحكمه .. ونصحنى الإنصياع إلى الحكم وتسليم الفيلا .. والخضوع للقرار حتى يتم الإستشكال والطعن على الحكم..

لم أجد مفر إلا ترك الفيلا وإصطحاب طارمو وأوانى غذائه .. وقد تركته وديعه لدى خفير المنطقه الذى يفترش إحدى الفيلات تحت التأسيس ... وتم تسليم مفتاح الفيلا إلى وجوه لم أراها سوى مرتين .. وبعضهم ألقاه لأول مره..

لم يفلح المحامى المكبل بالقوانين فى إستصدار قرار عودتى إلى الفيلا .. وإكتفى القاضى بتمكينى من متعلقاتى الشخصيه وكل مايخصنى بشرط توفير أصول فواتير الشراء .. وحيث أننى لم أأبه يوما بالإحتفاظ بالفواتير .. وكانت زوجتى هى خزانتى وحافظة أوراقى..

إستولى الجمع على الفيلا ومقتنياتها من أثاث ونجف وتحف وسجاد وغيرها من الكماليات .. حتى الحلى والهدايا الثمينه لم أستطع إستردادها .. لم أفلح إلا فى إسترداد ملابسى .. وصورة أمى بعد نزعها من بروازها .. حتى مصحفى الألكترونى لم يفرجوا عنه إلا بعد مقايضته بمبلغ من النقود...

الغريب فى الأمر .. روح العداء والتربص .. وكأنهم يثأرون لما إختطف من أهل ديانتهم سابقا .. وأشهد الله أننى لم أنهيها عن صيامها يوما .. أو ألهيها عن صلاتها فرضا..

تفحصت الصلبان التى فى أعناقهم .. ووشمات الصليب على أجسادهم .. ولكنى لم ألمح محبة السيد المسيح فى وجوههم...

غادرت المكان فى موكب حزين يضم سيارات أبنائى محمله بحقائب ملابسى ومتعلقاتى الشخصيه .. وتبدأ رحلة الغربه ومرحلة الكعب الدائر بين منازل أبنائى الذين إقتسموا شهور السنه فيما بينهم .. لتتباين محال إقامتى كل أربعة شهور .. ورغم حفاوة أبنائى وترحاب زوجاتهم .. إلا أن إحساس الغربه ظل يتمدد ويتسرطن حتى طال جميع خلايا جسدى وفكرى .. وأصبحت كمسافر ضال يجهل محطة الوصول..

حاولت التعايش بفضل تفانى أبنائى وذويهم فى إسعادى وتلبية كل إحتياجاتى .. رحم الله زوجتى وحماتى اللتان أحسنتا التربيه .. لم يفوتنى القيام بزيارات إسبوعيه للإطمئنان على طارمو الذى كنت أقضى معه أسعد أوقاتى...

قبل إكتمال العام .. وقبل نهائيات الأربع شهور .. طلب منى آخر العنقود .. حزم حقائبى والإستعداد للإنتقال .. بالفعل حزمت أمرى وإصطحبنى إبنى .. وفوجئت به يحيد عن عنوان الفلذه الكبرى ووجدته يتجه إلى محيط الفيلا .. توجهت إليه شاكرا حيث فطنت إنه يبغى سعادتى .. بالإطمئنان على طارمو .. الذى لم ألمحه فى المكان المخصص له لدى الخفير .. إندهشت وتملكتنى الحيره التى لم تطل .. حيث سمعت نباحه يناديني من أعلى الفيلا .. عدت إلى حيرتى مرة أخرى بل وإزدادت حين رأيت أسطول سيارات أبنائى وإخوانى وأصدقائي وجيرانى تحوط أسوار الفيلا...

ظننت لوهله .. أن القانون أنصفنى وأن المحامى أفلح فى ردى ماسلب منى .. ولكن تبددت الظنون مرة أخرى حين لمحت بعض أهل زوجتى من قوات الإحتلال مازالوا ينعمون فى رغد الفيلا ... أشار إلى إبنى بالصعود إلى أعلى الفيلا .. مرددا .. قليل من الصبر ياأبى .. ونقوم بتبديد حيرتكم ونجيب على كل إستفسارتكم ..

عند الصعود إلى أعلى فوجئت بكوكبه من الأحبه والأصدقاء يستقبلون عريس وصل توه إلى محفل عرسه .. بعد ترحيب طارمو .. قادنى أبنائى ومحامى العائله والمعازيم والخفير إلى

شقه صغيره أنيقه .. يزينها أثاث ذو ذوق رفيع ولمسات رقيقه ممثله فى ألوان الستائر وبعض اللوحات والرسومات الفنيه..

إلتمس المحامى الكلمه ليفند طلاسم دهشتى .. أولاً .. مبروك الشقه .. وإن كنت سيادتكم حررت عقد ملكية الفيلا بإسم المرحومه إلا أن رخصة المبانى صادره بإسمكم .. ومن حقكم البناء والتعليه ...

ثانيا .. اشترك أبناؤكم الثلاث فى تكلفة التشييد والتشطيب ... ثالثا .. قام الخفير بالإشراف الكامل .. رافضا تقاضى أى أجر .. رابعا .. ساهم كل المدعوين فى تأسيس الشقه وتوفير الأثاثات والأجهزه اللازمه ... وأشار المحامى إلى مكتبه بأحد الأركان مفيدا .. هذه هديتى إليكم ...

خامسا .. أسندت مهمة حراسة المشونات إلى طارمو الذى إنتقلت إقامته أثناء فترات الليل إلى سطح الفيلا زودا عن مواد وأدوات البناء.. .

بعد أمسيه جميله وفرحه إخترقت آلامى .. ظللت طوال ليلتى أهندم ملابسى ومتعلقاتى داخل دولابى .. فقد اصبح أخيرا لى دولاب خاص .. كما صار لدى منزل وعنوان ..

إنتبهت إلى صوت آذان الفجر .. توضأت وصليت وسجدت كثيرا كثيييرا .. طويلا طوييييييلا .. حامدا ربى .. وشاكر فضله....

مرت الأيام وقد شعرت أننى بعثت من جديد .. فقد أصبح لدى باب يستر داخله شقه أنيقه .. مفتاح .. دولاب خصوصى .. حمام خاص .. صديق وحارس وفى .... وقد إعتاد أبنائى وذويهم قضاء عطلتهم الإسبوعيه فى شقتى متواضعة الحجم .. وأصبح يوم الجمعه هو ملتقى دافئ يجمع جميع أفراد عائلتى الصغيره .. وكان طارمو ينافسنى ترقب مجيئهم .. سعيا لمداعبة الأبناء .. ولعبا ولهوا مع الأحفاد .. ورغم ضيق حيز الجدران إلا إنه كان هناك متسع للجميع فى الساحه الخاليه حولنا (التراس) .. وقد إستطاع بستانى المنطقه أن يجعل منها متنزه يضاهى حديقتنا الباليه .... المدهش فى الأمر أن يقوم بذلك تطوعا دون أى توصيات .. ودون أن يدق بابى يوما طالبا الأجر..

فوجئت ذات يوم قبل أفول الشمس بقليل بمن يدق بابى .. وإذ بسيده أنيقه فى العقد السادس من عمرها تقود قافله من الشباب المحتل تستأذن فى الدخول .. ظننت إنها ربما تقودهم لعمل إنتحارى .. او إنها معلمه تريد تلقين تلاميذها درسا بليغا .. .. جلست السيده فى هدوء .. وبدأت الإسترسال .... أنا تيرى إبنة

خالة حماتك .. ربنا يقدس روحها .. هى وزوجتك الغاليه .. ربما إلتقينا أكثر من مره عبر المكالمات الهاتفيه .. ولكنها المره الأولى التى أنال فيها شرف لقائك وجها لوجه .. لقد وصلت من كندا أمس .. وحرصت أن يكون لقائكم هو أول زياراتى .. والتعرف عليكم هى أهم غاياتى...

أود أولاً أن أحمل إليكم أعمق تعازينا .. وأتوجه إليكم بخالص الشكر والإمتنان لما قمتم به من مراعاه لزوجتك وحماتك .. وأشهد أن سيرتك الطيبه كانت تحتل النصيب الأكبر من مكالمتنا .. كما أود الإعتذار عما صدر من إحتكاكات خلال قرار التمكين من الفيلا..

ولتعلم أن الإختلاف فى الرأى .. لا يفسد للود قضيه .. ولا ينتقص من مقدارك لدينا .. نحن نحترم القوانين وتعاليم الكنيسه والتى تحظر إنتقال الموروثات بين الأديان .. .. ولنفترض .. أطال الله فى عمرك وأمد فى أجلك .. إنكم فارقتم قبل زوجتكم ولم يكن لكم أولاد .. وكانت الفيلا بإسمكم .. أتظنون ألا يقدم إخوانكم فى المزاحمه لتملك الفيلا .. ألا يطالبون بحقهم الشرعى والقانونى فى تمكينهم من الفيلا دون الزوجه ... إنها قوانين شرعها المشرع .. وباركها الأزهر .. وكفلتها الكنيسه...

فلندع كل هذه المشاكل جانبا .. ولننتظر كلمة القضاء بشأن ماقمتم به من إستئناف .. ولنفتح صفحه جديده يسودها السلام والود والمحبه....

توجهت إليها مرحبا .. حمد الله على السلامه مدام تيرى .. نورتى مصر .. تشربوا إيه ؟

لا جنابك تتفضل معنا .. فأنت مدعو على العشاء .. والجميع فى إنتظارك بالدور السفلى ..

أعتذر جدا .. فأنا لا أطيق إستضافتى فى منزلى .. أو تقمص دور الغريب فى داره .. أعذرينى فأنا لا أحتمل أن أكون زائرا فى منزل تحمل نسمات هوائه أنفاس زوجتى الحبيبه وحماتى الغاليه ..

فى إيماءه تحمل سمة الأمر .. أشارت إلى الكتيبه بإحضار الطعام وتجهيز المكان لنجتمع جميعا على مائدة العشاء فى ساحة منزلى الأنيق ... توجهت إليها مداعبا .. أخشى أن يكون هذا هو العشاء الأخير...

حرصت تيرى وبعض افراد الكتيبه على مرافقتنا يوم الجمعه والتعرف على العائله عن كثب .. كما حرصت على إحضار بعض الهدايا .. ولم يفوتها إحضار طوق جديد تزدان به رقبة طارمو الجميل....

مرت الأيام وزادت سكينتى .. وتبدلت قوات الإحتلال إلى كتيبة أصدقاء .. وأصبحوا يداعبون طارمو بعد أن كانوا يتجنبونه ويخشون الإقتراب منه..

ألفت التعايش فى شقتى الجديده .. وزال الأرق ..وبدأ ترقبى لحكم الإستئناف يفتر ويتضائل .. فقد إرتضيت قضائى وقدرى .. تذكرت حكمة حماتى رحمها الله .. إن ما يجمعه الرب لا يفرقه إنسان .. وأيقنت أن ما يقدره الرب لا يغيره بشر .. بدأت أستعيد نضارة بسمتى .. ولم يعد يؤرقنى سوى هبوطى وصعودى للسلم الذى يستنزف خشونة ركبتى .. ولم يعد يؤلمنى إلا حين ألمح أحدهم جالسا فى الركن المفضل لزوجتى بالحديقه .. متأرجحا على آخر هدايای فى عيد الأم .. حيث أهديتها .. كرسى .. كرسى هزاز....

عشت أياماً وأسابيعا فى هدوء وسلام .. وبدأت براعم السعاده تنمو رويدا رويدا داخل نفسى ومنزلى الأنيق ومتنزهى الرحيب وحارسى الأمين والتجمع العائلى الذى يضم الأحبه من الأبناء والأحفاد .. ولا أنسى فضل زوجات أبنائى وتبارهن فى إعداد أشهى المأكولات وألذ الحلويات .. ولكن دوام الحال من المحال .. وحكمة الله فى كرسى الحياه الهزاز لا تبقيك على حال .. ترفعك يوما إلى العلى وتحيد بك يوما آخر إلى القاع .. فلا توجد سعاده دائمه ولا يوجد حزن سرمدى..

فقد تلقى آخر عنقودى عقد عمل بالأراضي الحجازيه .. ليستئصل القدر جزء غالى من محفلنا الأسبوعى .. ورغم مشروعية سعيه إلى مزيد من رغد العيش .. إلا أنني أفتقده كثيييرا .. فقد ترك جزء من الكبد دون فلذه .. وأصبحت دعوات رؤياه قبل الممات تحتل النصيب الأكبر فى صلواتى ..خاصة وقد وهن الشيب منى وتمدد خط العمر فى كفى...

زادت لوعة الشوق .. وقد مضى سنتان همأ الأصعب بعد رحيل الأم وفراق زوجتى الحبيبه .. وكم كانت فرحتى كبيره حين علمت بقدومه فى أجازه قصيره...

رغم لمسة برودة خواتيم يناير .. ورغم همسة نسمات ساعات الغسق الرطبه .. جلست بصحبة طارمو عند مدخل ساحتنا الرحيبه مترقبين قدوم آخر العنقود وعنقوده الصغير .. إبنتاه الجميلتان ..

ها هى حشرجة الموتور ترسل ضجيجها .. ها هو صوت السياره يدنو من أسوار الفيلا .. تأهبنا لإستقبال الأحبه .. هاهو إبنى الغالى يلوح فى الأفق ويهرول نحوى ويدلى بنفسه بين أحضانى .. لقد تغير كثيرا فقد زاد وزنه .. كما زاد وجهه بلحية كثيفه .. ومن خلفه لمحت خيمه لم أتعرف عليها إلا من خلال بصمة الصوت حين أصدرت بعض عبارات الترحيب .. وإذ بطفلتين جميلتين تردتيا الحجاب .. تنتظران الإذن لمصافحتى ... حتى مداعبتهم لطارمو شابها الفتور والإهمال .. وقد حظر عليه إبنى دخول المنزل كما حرمه إبداء مظاهر الترحيب..

لم تمضى ساعه إلا وإستأذن الجميع فى الإنصراف حيث إنهم على موعد مع أهل الزوجه الذين أعدوا لهم وليمة إستقبال .. حاولا إصطحابى معهم إلى الوليمه .. إلا أننى رغم شوقى إليهم .. أعتذرت خشية ألا أجد منزلى عند عودتى .. وقبل الإنصراف حرص إبنى على الإستفسار عن صحتى وأحوالى

ومدى تعايشى مع الكتيبه السفليه .. كما حرص على السؤال عما أسفر عنه إستشكال إسترداد الفيلا..

لم يمضى يومان إلا وإستقبلت مكالمه هاتفيه يغلفها نبرة غضب لم أعتاد عليها من محامى العائله شاكيا تعنيف الإبن له نظرا لتأخر البت فى حكم إسترداد الفيلا من أهل الكفر والشرك بالله ... تذكرت والدى رحمة الله عليه .. حين إستولى أحدهم على قطعة أرض لم يفلح فى إستردادها إلا بعد سبعة عشر عام من تداولها فى المحاكم..

لم يمضى أسبوع إلا وإستيقظت على طويس معركه حربيه يقودها مجموعه من اللحى الكثيفه الذين قاموا بإقتحام الفيلا وتحطيم جميع نوافذها وجرجروا ساكينيها خارجها بعد كيل من اللكمات والتهديدات .. وصارت الفيلا مجرد أطلال يقطنها الخراب والدمار ويسكنها الأشباح والغربان....

جاءت الصاعقه محموله على أكتاف آخر العنقود .. حين طل على إطلالة فارس مغوار شاهرا سيفه فى وجه الملاعين الكفار ويزف إلى بشرى قيادته لحملة الجهاد .. وإن ما أخذ بالقوه .. لا يسترد بغير القوه....

حزنت كثيرا كثيييرا .. وإنتحبت طويلا طوييييلا .. فقد خاب أملى وتبددت مجهودات الزوجه والجده .. إذ فرط إبنى فى أغلى ثرواته .. صفاء النفس .. ونقاء الروح....

وقف إبنى مذهولا من رد فعلى لمردود أفعاله محاولا تهدأتى وإسترضائى والسيطره على دموع بكائى .. لازمت الصمت طوييييلا ولم تنبس شفتاى بكلمه إلا حين لمحت عبره حائره فى عينيه .. جذبت الدمعه من عينيه لتفتح هاويس مجرى الدموع ويلقى براسه فوق صدرى وتمزج دموعى دموعه ليغسل بعضها البعض...

بعد فتره طويله من العتاب الصامت .. بدأت البسمه تسترد مكانها على الشفاه ..فمازال هناك أمل .. توضأنا وصلينا .. ثم بدأنا رحلة حوار إستولى الماضى وذكريات الأم والجده على النصيب الأكبر منها .. وكيف كانتا تلبيان كل إحتياجاتنا وتسهران على راحتنا وتسعيان دائما إلى إسعادنا رغم إختلاف أديانننا .. كيف عانتا قطيعة رهط كبير من قبيلة أهل الصليب فى سبيل لم شمل أسرتنا الصغيره .. كيف تزوج الرسول الكريم صلعم من ماريه القبطيه .. أم ولده إبراهيم ..

ألم يوصينا بهم الرسول حين أشار أن لنا فيهم صهرا ونسبا .. ألم يشرع لنا الله الزواج من أهل الكتاب وجعلهم وطعامهم حل لنا .. ألم يوصينى بهم الله فى آيات الذكر الحكيم....

كيف تغضب أهل زوجة الرسول صلعم .. كيف تبطش بأهل أمك وجدتك .. ألم تعلم أن عقوق الوالدين يعد من الكبائر ... ياأبى. . لقد إغتصبوا منزلنا الذى تربينا فيه ... لم يكن إغتصاب بل هو قانون معوج يسرى علينا وعليهم .. لا نرث أمك .. ولا حق لأمك فى ميراث أى منا ... فلنسعى فى المحاكم ولكن فى النهايه يجب إحترام القوانين والإذعان إلى حكم القضاء وقدر الله ...

ولكنهم أهل كفر وشرك ياأبى ..

ناهرا إياه .. إياك وهذه المغالطات مرة أخرى .. أتتهم أمك وجدتك بالكفر ...

لا .. لم أقصدهما .. بل أهل الشرك الذين إستولوا على المنزل .. الذين يقولون أن الله ثالث ثلاثه .. ويدعون أن المسيح إبن الله ...

اولا .. إسمه السيد المسيح .. ثانيا .. ألم تستمع يوما إلى صلوات

أمك وجدتك .. بإسم الآب والإبن وروح القدس (إله واحد .. آمين) .. أى إنه إله واااااحد لا شريك له ... ألم تتدبر آيات القرآن الكريم .. (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وإبنها آيه للعالمين) .. ألم ينفخ فيها الله ليهبها الإبن عن طريق روح القدس .. ولكن يبقى الله واحد لا شريك له .. وأعلم أن جميع الأديان والمذاهب تؤمن بوحدانية الله .. حتى البهائيه والمجوسيه يوحدون الله سبحانه .. وعندما يتقول المسيحى أن الله ثالث ثلاثه .. يعلم جيدا إنه إله واحد لا شريك له ... مثل الشمس (شعاع وضوء وحراره) ولكن تبقى شمس واحده .. وتظل مخلوقه من صنع الله .. فما بالك بوحدانية الخالق...

يابنى أنا لا أدعى إننى رجل دين أو أزعم إننى فقيه فى أحكام الإسلام .. ولكن أوصانا الله والقرآن بأهل الكتاب وخص إخواننا المسيحيين بالقدر الأكبر .. إذ قال تعالى .. (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ..... كما قال سبحانه .. (لتجدن أشد الناس عداوه للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون)....

ولكن الله ورسوله أمرونا بالجهاد .. وإن الدين عند الله الإسلام ....

يابنى .. إن الإسلام يحتضن جميع الأديان .. وكل الأديان تدعو إلى الإسلام .. فهى حلقات متصله أساسها وصايا موسى العشر وقمتها القرآن الكريم وقوامها محبة السيد المسيح ... ثم إن الجهاد فرض لمواجهة الكفار المعتدين الذين لم يكن بيننا وبينهم ذمة أو عهدا....

هل تنكر ياأبى أن بعضهم يدعى أن المسيح .. السيد المسيح إبن الله ...

يابنى .. إن السيد المسيح ولد بدون أب .. لذلك يدعونه إبن الرب .. كلنا من صنع الله .. إذ جاء أبونا آدم بنفخه من الله .. وحين تتابع الأناجيل ستدرك أن السيد المسيح كثيرا ما خاطب قومه .. أذكروا أباكم الذى فى السماء .. وكثيرا ما خاطب حوارييه .. أذكروا أباكم .. أذكر أباك الذى فى السماء .. أى أن الله أبو البشريه مجازا .. فالمقصود بأن الله أبو الناس جميعا ..أى خالقهم .. كما يقصد بالصلاة على النبي فى الإسلام .. الدعاء له .. وصلاة الله على النبى تعنى مباركته ..

ولو فرض وحاد بعضهم أو تطرف .. فلهم دينهم .. ولنا دين .. وإياك وتكفير أحدهم .. فالله هو المطلع .. وهو الحسيب ... وهو الذى يحكم بين عباده جميعا يوم القيامه .. إذ قال ربك سبحانه .. (إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئين والنصارى ، والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامه .. إن الله على كل شئ شهيد)...

يابنى إسهر على نفسك ودع الخلق للخالق .. وأعلم أن الرسول صلعم قد إتخذ من أحد أبناء الشرك دليلا له فى رحلة الهجره من مكه إلى يثرب ... يابنى لو شاء الله لجعلنا جميعا أمة واحده .. ولو شاء عمرو بن العاص حين فتح مصر لأمر بإسلام الجميع وتقتيل من دونهم..

يابنى .. أعلم وأعرف جيدا إنك صرت رجل رشيد .. ولكنك مازلت طفلى وآخر عنقودى .. فهل لى من رجاء ؟ ... بل تأمر .. تطاع ياأبى .. فقد كنت دائما نعم الأب .. ونعم الصديق...

إذا .. فلتنصت جيدا ..

يابنى .. تدبر القرآن وكن مسلما وسطا .. ودع حساب العباد لرب العباد ..

يـابنى .. إذهـب إلـى أمـك وجـدتك وإستسـمحهما .. وأعلـم أن رضاهما من رضا الله ورسله ..

يابنى .. عد إلى بلدك .. وأحسن تربية بناتك وأجعلهن أسوياء .. يعشـــن طفـــولتهن ويتحلـــين بـــالجوهر قبـــل المظهـــر .. يـابنى .. عليك إصـلاح مـا أقترفتـه يداك .. والإعتذار عما بدر منك .. ويفضل إرجاء ذلك لحين عودتك .. حتى تهدأ النفوس ويفتر الغضب ..

يـابنى .. إذا كنت تسعى لمزيد من الرزق .. لديكم قطعة أرض جدك رحمة الله عليه .. يمكنكم إستثمارها وإقامة مشروع خاص عليها ..

رجـاء أخيـر .. أسـألك أداء عمـرتين قبـل عـودتكم مـن الأراضـى المباركه .. وأسألكم الإكثار من الدعاء لأبى وأمى وأمكم وجدتكم وإخوانكم فيما يخصنى من عمره .. كما أسألك حسن الدعاء فى حرم الرسول الكريم أبو إبراهيم عليه الصلاة والسلام....

قبلنى ولدى .. وقبل يداى .. ودعته بغبطه .. زادت حين رصدت فى عينيه صفاء النفس الذى تربى عليه..

إنصرف ولدى بعد مداعبة طارمو .. وتزويد أوانيه ببعض المياه والأطعمه...

الحمد لله .. أن أعاد إلى فلذتى الغاليه .. وأن من الله عليه بالنجاه بعد أن كادت رياح التعصب أن تعصف به .... الحمد لله .. حمدا كثيييرا .... حمدا جمييييلا..

لم تمر أيام وقد جائنى آخر عنقودى بصحبة أخويه يودعنى قبل سفره إلى الحجاز لإنهاء عقد عمله .. أدينا صلاة الفجر جماعه .. ثم أعد لنا فلذتى الوسطى إفطار فاخر ليجتمع عنقودى الصغير حول المائده بعد طول غياب .. أخبرني آخر عنقودى قيامه بزيارة أمه وجدته رحمهما الله .. كما كلف إبنى البكرى بمتابعة إجراءات عودة إبنتاه إلى مدارسهم .. وأوصى الآخر بتتبع أوراق إنهاء أجازته والعوده إلى عمله بأرض الوطن .. إحتضنته كثيرا قبل أن يسرع للحاق بطائرته راجيا إياه العوده سريعا وموصيا الإكثار من الدعاء فى الحرمين الشريفين..

لم يكتمل الأسبوع حتى فوجئت بحمله صليبيه تتاريه مدججه بالشوم والأسلحه البيضاء .. وجوه لم أراها من قبل قاموا بتهشيم وتكسير كل ماطالته أياديهم فى شقتى الأنيقه .. حاول طارمو التصدى لهم ..إستل أحدهم خنجرا وتأهب لطعن طارمو .. وفى سرعه أحسد عليها وثبت عليه لأطيح بالرجل ويستقر الخنجر بين أضلعى .. ويصرخ الجميع ويفرون هربا مع مطاردة طارمو لهم الذى قام بتعقير بعضهم ولم ينتهى عنهم إلا حين سمع ندائى مستغيثا بصوت خافت ممزوج بالأنين .. ثوان وهرول إلينا ماركو الذى أظنه ريتشارد قائد الحمله الصليبيه والمخطط لها .. ليدوى بصرخه إهتزت لها المدينه بإثرها..

جدو .. جدو .. عملتم إيه ياولاد ال .... أنا موصيكم عدم المساس بجدو .. يا اولاد ال ... .. دقائق وإنضم الخفير إلينا محاولا نزع الخنجر ولكنى أشرت إليه بتركه .. خشية النزيف وتسمم الجرح .. قاما بحملى داخل سيارة ماركو .. وكان بكاء طارمو آخر ماأستقبلته أذناى وكان كرسى زوجتى الهزاز المهشم آخر مالمحت من أنقاض الفيلا .. وكانت لافتة غرفة العمليات آخر ما أبصرته عيناى .. قبل تغيبى عن الوعى....

لا أدري كم مضى من الوقت قبل أن أفتح عيناى مرة أخرى .. لأبصر جمهره من المعازيم تضم الأبناء والأحفاد والإخوان وجميع الأهل والأصدقاء والجيران والخفير وماركو .. وأثناء تفحصى للوجوه أفاجئ بمن يشق الصفوف ويقفز على كل الحواجز ويلقى بنفسه فى أحضانى بحرص متجنبا موقع الجرح .. إنه حبيبى وآخر عنقودى الذى وصل توه وكان يردد عبارات الوعيد والإنتقام ..

إكتملت فرحتى برؤياه .. وسألته بصوت خافت .. هل أديت ماكلفته بك من عمره ؟

إطمئن ياأبى .. وقد إستقبلت الخبر المشئوم أثناء وجودى فى الروضه الشريفه بالمسجد النبوى ...

إذا .. فلتحافظ على عمرتك وتنهى النفس عن أمر السوء ... وفى إيماءه منى تم إستقدام ماركو لأطبع قبله على جبينه فى إشاره إلى العفو والسماح ...

بكى ماركو بكاءا شديدا وتقهقر تاركا الحجره .. كما بكى إبنى مرددا .. أنا السبب ياأبى .. انا المبتدئ .. والبادئ أظلم .. أنا من طعنك ياأحن الآباء ... مازلت مراهق فكريا .. يابنى .. هذه

مقدرات مدونه فى لوح محفوظ .. لا يستطيع بشر المساس بها أو تغييرها .. وفى إيمائه أخرى منى .. إنصرف الجميع دون أبنائى ومحامى العائله...

أوصيكم الإتحاد دائما مهما تباينت زوجاتكم أو إختلف أبنائكم .. كما أوصيكم السعى الدؤوب المشروع لإسترداد الفيلا فلا يضيع حق ورائه مطالب .. والإمتثال لأمر الله إذا آلت إلى غيركم .. ولتعلمون إنه رغم قوتكم لن تنالوا إلا ما كتبه الله لكم .. وما لكم سوف يؤول إليكم مهما بلغ ضعفكم ..

المحامى مقاطعا .. بعد هذه الأحداث أصبح إسترداد الفيلا أمرا يسيرا .. بل هم من سيسعون إليه مقابل التنازل عن البلاغ وعدم الزج بهم فى دائرة الإتهام وخشية إشعال الفتنه .. كما أننا نجحنا فى إسترداد شاليه الساحل نظرا لعدم تسجيله .. وتقديم المستندات التى تفيد تحويل مبالغ الأقساط من حسابكم الشخصى بالبنك .. ليكن .. وفى هذه الحاله .. تؤول الفيلا إلى إبنى البكرى مع تعويض أخويه ماديا .. ويقوم هو بالفصل فى قيمة التعويض أو تقييم أى مقتنيات أخرى .. فهو أكثركم زهدا وأقيمكم عدلا .. وليحرص الجميع على اللقاء الإسبوعى بالفيلا كل يوم جمعه .. يخصص شاليه السخنه إلى الفلذه الوسطى .. ويتولى الإشراف

علـى إصـدار صـدقه جاريـه بإسـمى وإسـم أمكـم الغاليـه .. فهـو أكثركم جودا .. وأوسعكم كرما ...

تؤول ملكية شاليه الساحل إلى آخر العنقود .. كما أوصـى بإنشاء مشروع مشترك على قطعة الأرض .. يتولى إدارته الفلذه الصغرى .. فهو أشطركم وأكثركم حميه .. وأشملكم خبره بنواحى التسويق ..

أوصـيكم .. عـدم التفـريط فـى صـديق فـى لحظـة غضـب .. والحرص دائما على إستيعاب الحبيب مهما بلغ الغضب..

أوصـيكم صـلة الأرحـام .. ومراعـاة أهـل أمكـم الغاليـه .. كمـا أوصـيكم بإصـلاح الكرسـى الهـزاز ومراعـاة طـارمو العزيـز ... أوصيكم أن يكون الكفن من أرخص الأقمشه .. وأن يقتصر العزاء على مراسيم الدفن .. وألا يزيد الحداد عن ثلاث أيام .. وألا تتشح السيدات السواد ....

زاد نحيب وعويل الأبناء .. مرددين .. نرجوك ألا تغادر ياأبى .. نرجو ألا تتركنا ....

مقاطعا .. ناهيا .. أن لكل أجل كتاب .. وأننى على موعد مع أمى وأمكم .. وإننى لأرى والدى يترقب وصولى..

محولا الدفه .. أشرت إلى دخول الجميع .. لإستعراض جميع الوجوه .. موجها نظره أخيره يمتزج فيها الوداع بالشكر .. ويقترب جميع الأحفاد لأطبع على جبين كل منهم قبله أخيره .. ثم توجهت إلى أبنائى .. وصيتى الأخيره مدونه فى ورقه داخل حافظة نقودى .. تحمل وصايا الله إلى السيد المسيح والرسول الكريم....

إستجمعت كل قواى وقمت بإحتضان أولادى بشده غير مبالى بآلام الجرح الذى غاب صداه .. ثم ضممت يدى إلى أياديهم رافعا حزمة أيادينا إلى أعلى رافعين شعار الإتحاد والتحدى .. لتبقى أياديهم مرفوعه وتسقط يدى سقطتها الأخيره وتسدل ستائر عيناى .. وتفيض روحى إلى بارئها فى هدوء وسلام..

فى جنازه مهيبه تضم الأبناء والأحفاد والإخوان وجموع من الأهل والأصدقاء والجيران والمحامى والخفير .. وجمع من المسيحيين يقوده ماركو ومدام تيرى التى حضرت خصيصا وأصرت أن تتقدم الصفوف رافضة الإذعان إلى تقاليدنا المتوارثه بعدم مشاركة

النساء فى مسيرة الجنازه .. مما شجع أخواتى وزوجات أبنائى الإنضمام إليها .. وتتعانق أيادي المسلمين والمسيحيين فى حمل نعش جثمانى .. ويتراقص الكفن داخل الصندوق .. وكأنني أمتطى كرسى هزاز....

عقب الإنتهاء من مراسم إيداعى مقرى الأخير .. توجه أبنائى إلى أطلال شقتى .. ليطلعوا على وصيتى الأخيره التى لم تغادر حافظة أوراقي منذ ما يزيد عن ربع قرن .. ليجدوا ورقه صفراء مدون علي جهة منها ... (لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب .. بل المرضى ،،،،، لم أت لأدعو أبرارا .. بل خطاه .. إلى التوبه) .. بارك الله السيد المسيح .. عليه السلام...

ومدون على الجهه الأخرى .. حديث قدسى .. (ياأبن آدم .. لا تخف من ذو سلطان مادام سلطانى وملكى لا يزول .. لا تخف من فوات الرزق مادامت خزائنى مملؤه لا تنفذ .. خلقت الأشياء كلها من أجلك .. وخلقتك من أجلى .. فسر فى طاعتى يطعك كل شئ .. لى عليك فريضه ولك على رزق .. فإن خالفتنى فى فريضتى لم أخالفك فى رزقك .. إن رضيت بما قسمته لك فقد أرحت قلبك .. وإن لم ترضى بما قسمته لك .. فوبعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البريه .. ولا

ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما) .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه....

طلب الإبن الأكبر الإحتفاظ بالوصيه .. وأقترح الأوسط نسخها .. ليتعاهد الثلاثه على إحتفاظ كل منهم بالوصيه داخل حافظة أوراقه..

توجه الإخوه الثلاثه إلى حديقة الفيلا .. ولملموا بعض الأخشاب المتناثره .. لتبدأ رحلة جديده .. رحلة إصلاح الكرسى .... الكرسى الهزاز.....

الفهرس

إهـداء ٥
حجاب أم هاشم ٧
فيديو .. عالم ذره..... ٢٣
قابيل يحكم العالم..... ٣٠
الشهيد ٣٧
جلباب .. ودبوره .. ونسر ٤٥
إصطياد .. طقم أسنان ٤٨
مراية بيتنا ٥٨
من الجانى ؟ ٦١
محطة البنزين .. والمسجد الكبير ٦٧
دودة القطن والصدقه جاريه ٧٠
أقدار .. وأعمار..... ١٠٠
رايه .. وصفاره .. واشياء اخرى ١٢١
قتلة الحسين ١٢٦
الحمار .. والخمار ١٤٠
إن ابغض الحلال عند الله .. الطلاق ١٥١
دين أبوهم .. إسمه إيه..... ١٥٤
دكتوراه من أمريكا ١٦٠
قيصرية خمار..... ١٦٧
قبلة الحياه..... ١٧٣
مواطن درجه تانيه..... ١٧٧
كرسى هزاز ١٨٣